٨١٣٥٩.٨١٤
جامعة 08 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية
قسم التاريخ والآثار
12/1952

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم: التاريخ والآثار

التخصص : التاريخ العام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان

التجارة القرطاجية في حوض البحر الأبيض المتوسط

من إعداد الطالبة:

✓ هاشمي كوثر

تحت إشراف الدكتور:

سلاطنية عبد المالك

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
د. سلاطنية عبد المالك	أستاذ محاضر	مشرفا و مقررا	جامعة 08 ماي 1945 – قالمة -
أ.مرزوقي بلقاسم	أستاذ مساعد أ	رئيسا	جامعة 08 ماي 1945 – قالمة -
أ.بوزيد فؤاد	أستاذ مساعد ب	مناقشا	جامعة 08 ماي 1945 – قالمة -

السنة الجامعية 2011/ 2012

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أمدني بالقدرة و القوة و أعانني على انجاز هذا العمل الذي أرجو من الله القدير أن يجعله في ميزان حسناتي.

كلمة شكر و عرفان

بكل معاني الشكر و العرفان لأستاذي المشرف عبد المالك سلاطنية، الذي علمني الخوض في دروب البحث و الصبر و المثابرة.

شكر كبير لا يوفي حق والدي الكريمين لما أحاطاني به من حماية و رعاية و حنان، و شكر خاص لأمي لما وفرت لي مما لا يوصف و دعمها المتواصل لي.

كما أتقدم بشكري الجزيل إلى كل الأساتذة الذين أمدوني بيد المساعدة.

هاشمي كوثر

خطة البحث

مقدمة

الفصل التمهيدي: الحضور الفينيقي في غرب المتوسط.

المبحث الأول : البحر المتوسط كمسرح للنشاط التجاري.

المبحث الثاني : التوسع الفينيقي في حوض المتوسط.

الفصل الثاني : قرطاجة زعيمة المدن الفينيقية.

المبحث الأول : تأسيس قرطاجة.

المبحث الثاني : زعامة قرطاجة للمستعمرات الفينيقية.

الفصل الثاني : البنية التحتية للتجارة القرطاجية و تنظيمها .

المبحث الأول : مقومات التجارة القرطاجية

المبحث الثاني : أهم العلاقات التجارية و المواد المتبادلة .

الفصل الثالث : دور التجارة القرطاجية في صراعاتها الخارجية .

المبحث الأول : الصراع القرطاجي الإغريقي .

المبحث الثاني : الصراع القرطاجي الروماني .

خاتمة.

مقدمة:

تعتبر أهم نتيجة للتوسع الفينيقي على الساحل المتوسطي هو تأسيس مدينة قرطاج حيث ما فتئت هذه المدينة تتطور و تتوسع، حتى أصبحت من أهم المستوطنات الفينيقية على ضفاف المتوسط إلى درجة أنها كانت قادرة على أن ترث الزعامة على المدن الفينيقية الأخرى بعد تراجع مكانة صور الوطن الأم للفينقيين، و لما كانت قرطاج تنتمي إلى الحاضرة الفينيقية فطبيعي أن ترث عن الوطن الأم مقوماتها الحضارية من لغة و دين و عادات و تقاليد، إضافة إلى طرق اكتساب الرزق حيث اشتهر الفينيقيون بالتجارة البحرية و سارت قرطاج في نفس المحور الاقتصادي وبرعت فيها كما عملت على توسيعها و تطويرها لدرجة أصبحت قرطاج الوسيط التجاري البحري الأول في حوض البحر المتوسط و نالت لقب إمبراطورية البحر.

انطلاقا من هذه المعطيات نطرح الإشكال التالي:

ما طبيعة العلاقة بين التجارة القرطاجية البحرية و توسع نفوذها وسط سيطرتها على حوض البحر الأبيض المتوسط و هل كانت قوتها التجارية هي من أهلها لكي تتولى الزعامة و الوصاية على باقي المستوطنات الفينيقية في الوطن الأم؟

و هذه الإشكالية الرئيسية دفعتنا لطرح مجموعة من التساؤلات الفرعية.

- ما هي الخلفيات التاريخية لتأسيس هذه المستوطنة التي تحولت إلى إمبراطورية تجارية؟
- ما هي طبيعة البنية التحتية للتجارة القرطاجية و على أي أساس تم تنظيمها؟
- ما هي أهم علاقاتها التجارية و السلع المتبادلة؟
- ما هي أهم القوى المنافسة للتجارة البحرية القرطاجية؟ و ما هي نتائج تلك المنافسة؟

و هذه الإشكالية محددة في نطاق زمني [814 ق.م- 146 ق.م] و هي تمثل فترة تأسيس قرطاجة إلى غاية أفولها و تحطيمها من قبل الرومان.

انطلاقا ممّا تقدم، نفترض علاقة تعدي بين ظروف سياسية في حوض المتوسط و التوسع الفينيقي.

نفترض علاقة تكامل في الأهداف و في المسار التجاري بين قرطاجة والوطن الأم.

نفترض علاقة تكامل بين البنية التحتية لقرطاجة و قوتها التجارية.

نفترض علاقة تجارية متداخلة و متضاربة نتيجة الوساطة القرطاجية في البحر الأبيض المتوسط.

تتمخض أهمية موضوع دراستنا من أهمية الإمبراطورية التي قمنا بدراسة تجارتها و من أهمية المنطقة التي تشكل الحيز المكاني لموضوع بحثنا، فالبحر الأبيض المتوسط كان منذ القديم و ما يزال من أهم البحار، كما تستقي الدراسة أهميتها انطلاقا من أهمية

الموضوع في حد ذاته و هو التجارة القرطاجية، نظرًا لأن قرطاجة كانت إمبراطورية تجارية بالدرجة الأولى، لذلك تعتبر دراسة الجانب التجاري لقرطاجة من الأهمية بمكان لما يوفره من معلومات عن الزعامة القرطاجية للتجارة البحرية، و كيف خطت خطى جد متقدمة في هذا المجال، كما تمكننا الدراسة من معرفة الشعوب التي تبادلت التجارة مع قرطاجة.

تراوحت أسباب اختياري للموضوع بين أسباب موضوعية و أخرى ذاتية، فأما الأسباب الموضوعية فيمكن إيجازها فيما يلي:

إن التاريخ الفينيقي بشكل عام و وجوده في البحر المتوسط بشكل خاص اهتمت به العديد من الدراسات التي أفردها الباحثون لها، إلا أن أغلبها ركز على الصراعات السياسية و العسكرية للفنيقيين عامة و القرطاجيين خاصة، و كان النصيب الأكبر من هذا الجانب قد استحوذت عليه الحروب البونية بين روما و قرطاجة. وحتى الذين درسوا التاريخ المبكر للدولة القرطاجية و نشأتها السياسية و العسكرية ركزوا على المؤسسات السياسية فيها و نمو قوتها العسكرية، أما جانبها التجاري لم تفرد له الدراسات، بل تم تناول التجارة القرطاجية في إطار نقاط متفرقة من الدراسات السياسية و العسكرية لتاريخ قرطاجة. لذلك أردت أن يكون موضوع دراستي التجارة القرطاجية، كي أتناول فيه كل النقاط الخاصة بهذا الجانب من تاريخ الإمبراطورية القرطاجية، أضف إلى أن الجانب التجاري يفسر الدوافع السياسية و العسكرية و نتـائجها من تاريخ قرطاجة الحـافل.

أما الأسباب الذاتية في اختياري لهذا الموضوع أني أردت أن يكون موضوع دراستي المغرب القديم و منطقة البحر المتوسط، نظرًا لانتمائنا الجغرافي و الحضاري لهذه المنطقة، حيث أن الجزائر من المناطق التي تأثرت بالحضور الفنيقي البوني لما تمثله المعطيات الأثرية من تأثر ديني و لغوي و تجاري، و خير دليل على ذلك الموانئ البونية المتواجدة على الساحل الجزائري، نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر ميناء هيبون، و بالتالي فكرة الدراسة تعتبر حديثة مقارنة بسابقتها. ففكرة تناول التجارة القرطاجية بكل جوانبها تعتبر فكرة جديدة و لم تتناولها الدراسات العلمية التاريخية من قبل، و إن حداثة الأفكار بقدر ما كانت نقطة إيجابية و محفزة للدراسة و البحث في الموضوع بقدر ما كانت من الصعوبات التي واجهتني في إعداد البحث، فالمعلومات كانت متفرقة و المادة العلمية قليلة كما أن الدراسات كانت باللغات الأجنبية مما خلق مشاكل الترجمة، و هذا كلفني الكثير من الجهد و الوقت، خاصة المراجع باللغة الانجليزية التي تزداد صعوبة أمام حرصنا على الترجمة الصحيحة للوثائق الرسمية و النصوص و النقل السليم للمصطلحات، و الإحاطة بكل محاور الدراسة.

حاولنا تحديد خطة تجمع بين الشمولية و الدقة و هو من الصعوبة بمكان، و مع ذلك حاولنا قدر المستطـاع الوصول إلى ذلك بتقسيم الدراسة إلى فصل تمهيدي تناولنا فيه

الحضور الفنيقي في البحر المتوسط و قد حددنا فيه دوافع التوسع و مراحل التوسع، ثم فصل أول تطرقنا فيه إلى الزعامة القرطاجية على المدن الفنيقية و تناولنا فيه تأسيس قرطاجة و عوامل قوتها، ثم فصل ثاني يمثل لب البحث و جوهر الدراسة حيث قمنا بتحديد البنية التحتية للتجارة القرطاجية و كيفية تنظيمها مع تحديد أهم العلاقات التجارية البحرية، و فصل ثالث و أخير ربطنا فيه العلاقة بين التجارة القرطاجية و صراعاتها العسكرية، لننهي بخاتمة عامة للموضوع كانت في شكل خلاصة مركزة للبحث مع جملة من الاستنتاجات.

- و قد اعتمدت في إعداد محاور بحثي على جملة من المناهج العلمية التي فرضتها طبيعة الدراسة، كان على رأسها المنهج التاريخي، و تم استخدامه بشكل عام في كل فصول البحث و ذلك في إطار توظيف المعلومات و ربط الظواهر و الأحداث السياسية المتعلقة بالدراسة، بفكرة الزمن من أجل فهم ديناميكية التطور و خلفيات هذه العملية و يبرز في نشأة قرطاجة و زعامتها للمستوطنات الفنيقية.
- كذلك استعملت المنهج المقارن و كان بطريقة ضمنية في الدراسة من خلال مقارنة تجارة قرطاجة بالوطن الأم، كذلك استعملته في الفصل الثالث لما قارنت طبيعة نشأة روما و سياستها العنيفة منذ بدايتها و طبيعة نشأة و تجارة قرطاج التي اتسمت بالسلم.
- كما تم استعمال المنهج الإحصائي في الفصل الثاني من الدراسة و ذلك بإعطائي أعداد تقريبية لتركيبة الأسطول التجاري القرطاجي.
- و استعملت المنهج الوصفي في الفصل الثاني بطريقة كبيرة و ذلك بوصف السفن التجارية القرطاجية من حيث الحجم و الشكل و كذلك وصف الموانئ البحرية و وصف طريقة تنظيم التجارة.
- كما تم توظيف المنهج المسحي و ذلك لما اضطرته طبيعة الدراسة بالاستشهاد بالدراسات المسحية للمواقع الأثرية لقرطاجة و ذلك من خلال الخرائط التي تعدد هذه المواقع و تحددها.

أما عن أهم المراجع و المصادر التي اعتمدتها في دراستي لهذا الموضوع كان أهمها تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح و كذلك كتاب فيليب حتى تاريخ سوريا و لبنان القديم، و كتاب محمد الصغير غانم التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط و كتاب قرطاج البونية للشاذلي بورونية و محمد الطاهر و كتاب المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم لمحمد بيومي مهران هذا عن الكتب باللغة العربية أما عن الكتب باللغة الفرنسية نذكر كتاب La marine carthaginoise لعبد الحميد البركاوي و كتاب Histoire ancienne de l'afrique du nord لـ « Stéphen Gusel » على الرغم من أن كل المراجع و المصادر المستعملة في البحث كانت مكملة لبعضها البعض و كل مرجع كان يغطي نقائص من المعلومات في مرجع آخر.

فصل تمهيدي: الحضور الفينيقي في غرب المتوسط

المبحث الأول: البحر المتوسط كمسرح للنشاط التجاري

يقع البحر الأبيض المتوسط بين ثلاث قارات رئيسية من قارات العالم الخمس حيث تشكل إفريقيا شواطئه الجنوبية، و تحده من الشرق قارة آسيا، أما من الشمال و الغرب فتحده قارة أوروبا، و هو يعتبر بحرا مغلقا حيث لا يتصل بالبحار و المحيطات الأخرى إلى عبر ممرات ضيقة، فيتصل بالبحر الأحمر في الجنوب عبر قناة السويس، و يتصل بالبحر الأسود في الشرق عبر مضيقي البسفور و الدردنيل، و في الغرب يتصل بالمحيط الأطلنطي عبر مضيق جبل طارق، هذه الممرات جعلت منه بحرا مغلقا عن الكتل الهوائية المسببة للعواصف و الأنوار و هو بذلك يعتبر من أهم بحار العالم لخلوه من التيارات البحرية القوية[1]، و تصب فيه مجموعة من الأنهار الصغيرة موفرة له خلجانا ملائمة لرسو السفن و إبحارها مثل بحر إيجة و بحر الأدرياتيك، و البحر التيراني، و ينقسم البحر الأبيض المتوسط إلى حوضين شرقي و غربي تفصلهما أشباه جزر تكاد تكون متصلة تمتد من تونس في الجنوب إلى إيطاليا مرورا بصقلية[2]، و بنظرة سريعة على الحوض الشرقي منه الذي يضم بحر إيجة نجد أنه يضم عددا كبيرا من الجزر المتناثرة يصل عددها إلى أربعمئة و ثمانون جزيرة 480 تقريبا[3].

و بذلك فقد مثلت شواطئها مرافئ مناسبة للسفن و المراكب التي تجوب المنطقة كما أن الجزر تساعد على حركة السفن خاصة في العصر القديم نظرا لقربها من بعضها البعض، حيث يمر المركب من جزيرة إلى جزيرة في مياه ليست العميقة؛ و يستطيع الانتقال بين شواطئ البحر المتوسط دون الدخول في المياه المفتوحة، فالمتجه غربا من جزيرة قبرص ينتقل عبر الجزر اليونانية حتى يصل إلى الجنوب الإيطالي؛ فجزيرة صقلية عبر ما يعرف بالطريق الشمالي، و المتجه جنوبا يستطيع الوصول إلى بلاد وادي النيل عبر جزيرة كريت، أما المتجه شرقا فإنه يسير عبر هذه الجزر حتى مضيق البوسفور[4]، و من هنا فقد شكلت هذه الجزر نقاط إنطلاق للسفن التجارية منذ القدم؛ و السفن المتجهة غربا تنطلق من جزيرة إلى جزيرة حتى تصل جنوب إيطاليا دون عناء أو مشقة فتجد نفسها قد بلغت الحوض الغربي عبر مضيق مسينا، أما جزئه الغربي فإنه كذلك يحوي جزرا مختلفة تملؤه شمالا و جنوبا مما يسهل حركة الملاحة فيه فضلا

1- الناصري سيد احمد علي، تاريخ الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976 م، ص 07.
2- الجوهري يسري، جغرافية البحر المتوسط، منشاة المعرفة، الإسكندرية، 1984، ص 09.
3- جندي ابراهيم عبد العزيز، معالم التاريخ اليوناني القديم، ج 1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999، ص 58.
4- توينبي أرلوند، تاريخ الحضارة الهلينية، ترجمة رمزي جرجس، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2003، ص 44-45.

عن خلوه من الشعاب المرجانية التي تعيق حركة السفن، فهو يضم من الشرق إلى الغرب بالإضافة إلى جزيرة صقلية جزيرة ليباري و جزيرة كورسيكا و جزيرة سرديتيا و جزر البليار.[1] و بذلك فقد كانت حركة السفن فيه لا تعترضها صعوبات تذكر، أما مناخه فإنه ملائم جدا لحركة السفن التجارية حيث لا توجد به التيارات البحرية العنيفة كما إنه يتمتع بعدم مرور الكتل الهوائية المدارية إليه التي تؤثر على درجات الحرارة و تسبب حدوث العواصف التي من شأنها أن تحد من حركة السفن، و قد ساعدت بعض التيارات الهوائية الخفيفة في تسيير حركة الملاحة ، فقد كان في الجزء الشرقي يتعرض لتيار هوائي في فصل الصيف يأخذ باتجاه الشمال الغربي مما ساعد على اندفاع السفن من الساحل الفينيقي باتجاه الجزر اليونانية.[2]

أما عن الناحية البشرية فإن شواطئ البحر المتوسط الطويلة التي تصل إلى حوالي 3800 كلم تقريبا[3]، فقد ضمت العديد من الأجناس و الأعراق التي استطاعت أن تعبر شرقا و غربا و شمالا و جنوبا بفضل المزايا التي تحدثنا عنها، حيث ساعد هذا التنوع الجغرافي و البشري على نمو حركة التجارة فيه و تبادل السلع و البضائع التي اختلفت حسب اختلاف أقاليمه، فنقلها التجار بين هنا و هناك و شكلت شعوبه سوقا رائجة لتلك البضائع فكانت بلدانه يكمل كل منها الآخر، و من هذا نجد أن طبيعة و تنوع هذا البحر قد ساهمت بين شعوبه منذ القدم؛ و كان الفينيقيون خير رواد قاموا بهذه الحركة و خير من مارس التجارة عبر خطوطه الملاحية و ارتاء شواطئه المختلفة و وصل.[4]

المبحث الثاني: التوسع الفينيقي في حوض المتوسط

أولا: دوافع التوسيع الفينيقي:

ليس من السهل علينا تحديد بداية الوجود الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط بدقة و ذلك لتناهيه في القدم و غياب الأدلة الأثرية الدالة عليه، فقد شكلت منطقة غرب البحر المتوسط منطقة جذب للجماعات البشرية الآتية من الشرق منذ القدم، حيث يرى أغلب المؤرخين أن بداية الحضور الفينيقي فيها مثلت نقطة بداية تحول في تاريخها، خاصة على الساحل الجنوبي للبحر، أو ما نعرفه بمنطقة الغرب القديم، فهو يمثل بداية للعصر التاريخي فيها و نهاية للعصور الحجرية، فقد كان سكان المنطقة يعتمدون على الرعي و الزراعة في حياتهم اليومية المنتمية لمرحلة العصر الحجري الحديث إلى أن جاءت السفن الفينيقية من الشرق و رست على مقربة من الشواطئ المغربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط، و بدأت المحاولات للتفاهم بين الطرفين[5]، أما في الشمال "جنوب غرب اسبانيا و جنوب إيطاليا" فقد مثل نقطة مهمة في حياة تلك الشعوب بقدوم حضارة جديدة من الشرق ساهمت بشكل كبير في تقديمها و رقيها، فعرفوا من خلالها وسائل

1- Lioyd.w.watkiss ,History of sicily to the Athenian war,Ahbemarle street,London, 1872,P03.

2- الجوهري يسري، المرجع السابق، ص 24.

3- الجوهري يسري، المرجع نفسه، ص 25.

4- الجوهري يسري، المرجع نفسه، ص 28.

5- رشيد الناضوري، تاريخ المغرب الكبير –العصور القديمة-، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 154.

المعيشة الجديدة كطرق التعدين و صناعة الملابس مثلا و لمعرفة بداية الحضور الفينيقي - و مع غياب الأدلة القاطعة حول هذا الموضوع - فقد انقسم الباحثون إلى فريقين: فريق اعتمد على الدليل المادي المتمثل فيها نحصل عليه من خلال الحفريات الآثارية و التي لم يعثر فيها حتى الآن على ما هو أبعد من القرن الثامن ق.م في منطقة المغرب القديم.(1)

و بالتالي فهم يقولون إن وجود الفينيقيين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط لا يتجاوز القرن التاسع ق.م على أبعد تقدير، أما الفريق الآخر فإنهم يعتبرون أن ما ورد في المصادر الكلاسيكية و الأدبية من أخبار و روايات لا يمكن الاستغناء عنها بل يعتبرون المفتاح الرئيسي لمعرفة بداية تاريخ ذلك التواجد في غرب البحر المتوسط(2)، و أهم هذه المصادر كتابات المؤرخين القدامى أمثال هيرودوت*، استرابون*، ثيوكديديس*، ديدورس الصقلي*، بلني*، أوغسطين*... إلخ، هذا بالإضافة إلى ما ورد في الكتاب المقدس، و كذلك ما يمكن استخلاصه من حقائق من خلال ما تقدمه الملاحم و الأساطير و الأشعار و الشواهد الدينية.(3)

يبدأ تاريخ الحضور الفينيقي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مع نهاية القرن الثاني عشر ق.م حسب المصادر الكلاسيكية و ذلك بتأسيس "قاديش" في إسبانيا و عتيقة في تونس الحالية و مدينة ليكسوس على الساحل المغربي على المحيط الأطلسي التي يذكر أنها أسست قبل المدينتين السالفتي الذكر(4)، و إذا سلمنا بهذا التاريخ فإن هذا يقودنا إلى إرجاع معرفة الفينيقيين لهذه المنطقة إلى ما قبل ذلك بفترة من الزمن قد تكون ليست بالقصيرة حيث إن تأسيس هذه المدن

1- عبد الحفيظ فضيل المبار، الحضارة الفينيقية ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001، ص 103.

2- المسيار عبد اللطيف، المرجع نفسه، ص 104.

*هيرودوت: عرف هيرودوت بأبي التاريخ، و هو مؤرخ يوناني من مدينة هاليكارناسوس عاش في الفترة الممتدة ما بين (485-424 ق.م) ابن عائلة تهتم بالأدب و الفن و السياسة.

*إسترابون: هو جغرافي (63-20 ق.م) اهتم بجغرافية العالم حيث وضع سبعة عشر مجلدا تميزت أعماله بالدقة و الجدية مقدما مجموعة من المعلومات الهامة و المتفرقة.

* ثوكوديدس: هو مؤرخ يوناني عاش في الفترة الممتدة ما بين (460-399 ق.م) في أثينا شارك كقائد عسكري في إدارة المعارك، كتب المؤرخ ثوكوديدس عن حرب صقلية عام 480 ق.م.

* ديودورس الصقلي: مؤرخ يوناني عاش في القرن الأول قبل الميلادي (90-20 ق.م)، و هو أحد مواطني صقلية عاصر يوليوس قيصر و أغسطس ألف حوالي أربعين كتابا، حيث بدأ عمله بالحضارات الأولى لينتهي بحملة يوليوس قيصر على غاليا، سنة 59 ق.م.

* بلني: مؤرخ روماني عاش في القرن الأول الميلادي (23-79 ق.م) و هو صاحب الأعمال التي تتكون من سبعة و ثلاثين مجلدا تحت اسم "التاريخ الطبيعي".

لمزيد من المعلومات حول هذه المصادر التاريخية، انظر عبد المالك سلاطنية، المستوطنات البونية في حوض المتوسط، بحث مقدم لنيل دكتوراه في التاريخ القديم، اشراف محمد الصغير غانم، جامعة قسنطينة، 2009-2010، ص15،14 و 16.

* القديس أوغستينوس: ولد سنة 354 بتاغست (سوق أهراس حاليا مدينة في الشرق الجزائري) و هو أحد أهم رجال الدين الكنسي في بلاد المغرب القديم و أبرز أعماله "مدينة الله".

لمزيد من المعلومات حول القديس أوغستينوس، انظر هنري تيسي، ابن من أبناء نوميديا، مجلة سنة الجزائر بفرنسا، عدد خاص، 2003، ص11.

3 -Moscati.s,The World of pgoenicians,I.p tauris publishers,London, 2001, P47.

4- تيسركين يولي بيركوفيتش، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ترجمة يوسف أبي فاضل، ط 1، جروس برس، بيروت، 1988، ص 45.

و المراكز لا يمكن أن يأتي مباشرة عقب وصول التجارة و المكتشفين، فلابد لهم الارتياد و اختيار الأماكن الملائمة لإقامة مراكز هم التجارية.[1]

و قد أصبحت منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط مقصدا لشعوب الشرق الأدنى خلال النصف الثاني من الألفية الثانية ق.م حيث تدافعت عليها هجرات مختلفة من تلك المنطقة كان أهمها الهجرة الأتروسكية التي استقرت في وسط و شمال ما يعرف الآن تحت اسم إيطاليا[2]، ثم التوسع الإغريقي من شبه جزيرة البلقان غربا حتى وصل إلى جنوب إسبانيا و الأهم من ذلك كله كان الانتشار الفينيقي الذي شمل معظم منطقة غرب البحر المتوسط، حيث شمل جزيرة صقلية و جزيرة سردينيا و جزر البليار، و جنوب و جنوب غرب اسبانيا و كانت له السيطرة التامة ما يعرف بمنطقة المغرب القديم.[3]

و يمكن إيجاز دوافع و أسباب التوسع الفينيقي في العناصر التالية:

أ/ الدوافع السياسية

فالحديث عن الفينيقيين و توسعاتهم الاستيطانية في مختلف أرجاء المتوسط يأتي في ظل عوامل داخلية و ظروف خارجية كان لها أثرها الواضح في مسيرة الاستيطان و التوسع و التي يمكن أن نوجزها في تفاعل العوامل الطبيعية و البشرية.[4]

فلقد كان للأحداث المتردية إثر هجوم شعوب البحر تأثيراتها المباشرة و مما لا شك فيه أن الظروف التاريخية التي عاشها الفينيقيون أثرها الهام في نشاطهم البحري في إقامة مستعمراتهم على طول سواحل البحر الأبيض المتوسط، فقد كان لانتقال الإغريق الدوريين و شعوب البحر دور في تدمير قوة الموكينيين البحرية و منه القضاء على دولة الإغريق الأخيين فضلا عما شهدته صور من توتر نتيجة تزايد عدد السكان و انحصارهم في شريط ضيق من الأرض بين الجبال و البحر، حيث شكلت الجبال حاجزا طبيعيا حال دون توسعهم نحو الجنوب كما أنّ صعوبة التنقل بين المدن جعلتها تعيش في عزلة عن بعضها[5]، فضلا تعن الصراع السياسي و العسكري الذي كانت تخوضه الدول المجاورة للساحل الفينيقي بقصد الاستيلاء على سوريا[6]، و هذه الدول هي الدولة الآشورية في منطقة وادي الرافدين بالإضافة إلى وجود الأراميين* في سوريا الداخلية و العبرانيين في فلسطين.[7]

1- عصفور محمد أبو المحاسن، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1981، ص 45.

2- نصحي إبراهيم، تاريخ الرومان منذ أقدم العصور حتى 133 ق.م، ج 1، دار النجاح، بيروت، 1971، ص 48.

3- العسيلي بسام، هانيبال القرطاجي (247-183 ق.م)، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1980، ص 26.

4- عيد عاطف، حداد حليم ميشال: موسوعة تاريخ الحضارات العربية بين الأمس و اليوم، تونس، الجزائر، 1998، ص 15.

5- حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، دون سنة نشر، ص 31.

6- هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، مراجعة أحمد السقاف، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001، ص 349.

7- الناضوري رشيد، المرجع السابق، 159.

إلى جانب الزحف الآشوري على الساحل الفينيقي كانت هناك بعض الشعوب السامية الأخرى التي كانت تسكن منطقة سوريا الداخلية و كان لها بعض التأثيرات على التوسع الفينيقي في البحر المتوسط و من هذه الشعوب نذكر الآراميين و العبرانيين، الذين تطلعوا إلى أخذ مكانتهم على الشاطئ الفينيقي خاصة في عهد النبيين داود و سليمان (عليهما السلام) رغم صداقتهم للملك أجيرم في القرن العاشر ق.م[1]، كل هذه الاضطرابات السياسية دفعت بالفينيقيين إلى التوسع نحو الحوض الغربي للبحر المتوسط لوجود فراغ سياسي و تأخر سكانه في التطور.[2]

ب/ الدوافع الاقتصادية

ترتبط العوامل الاقتصادية للتوسع الفينيقي ارتباطا مباشرا بالعوامل السياسية التي ذكرنا سابقا، هذا فضلا على ارتباط كلا العاملين بالأوضاع الطبيعية للمنطقة[3] فلا ريب في أن الفينيقيين قد تأثروا إلى أبعد الحدود بالبيئة التي عاشوا فيها و استجابوا لها استجابة كاملة فشكلت جزء كبير من حياتهم الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية، على أن أبرز النواحي التي ظهرت فيها آثار البيئة في الحياة الفينيقية هي النشاط البحري، فقد كانت جبال لبنان التي تقع خلف الوطن الفينيقي تعرقل صلة السهول الساحلية بالأقاليم الداخلية و تجبر السكان على أن يلتمسوا لأنفسهم مخرجا آخر، و ذلك بأن يتجهوا إلى البحر هذا فضلا على أن البيئة الداخلية أو المحلية لم تعد قادرة على إعالة عدد من السكان يتزايد عددهم عام بعد عام، و لم تعد الزراعة بقادرة على إطعام آلاف الأفواه التي تعيش في المدن الساحلية[4]، و قد ساعد الفينيقيين على احتراف التجارة أسباب عديدة نذكر منها:

1-مواقع مدنهم القائمة على رؤوس متوغلة داخل البحر و على جزر متقطعة بالقرب من الساحل، و هذا ما وفر لهم وجود موانئ طبيعية و أحواض تصلح لبناء السفن.

2-توفر الأخشاب التي اشتهرت بها غابات جبال لبنان على مر التاريخ ساعدتهم على احتراف صناعة الأخشاب و بناء السفن بصفة خاصة.

3-تحكم الساحل الفينيقي في الطريق العالمي الذي يصعد من زادي النيل عبر سناء و يربط مناطق ازدهار الحضارات القديمة في شمال سوريا و آسيا الصغرى و بلاد الرافدين.[5]

---

*الآراميين: اجتاحت جموع الآراميين و هم ساميون خلال القرنين الرابع عشر و الثالث عشر قبل الميلاد جزءا كبيرا من بلاد ما بين النهرين و شمالي سوريا و أواسطها و عن ممر الزمن اخذ هذا الشعب الجديد يجمع أسباب الحضارة الآمورية و الكنعانية الراقية، و لكن القوم الجدد احتفظوا بشيء واحد هام لغتهم، فهم من هذا القبيل يختلفون تماما عن جيرانهم الجنوبية العبرانيين و الفلسطينيين، و كانت دولة آرام دمشق التي تأسست في زمان معاصر لقيام الملكية عند العبرانيين أي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي (لمزيد من المعلومات على الآراميين أنظر: فليب حتي لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة للنشر، بيروت، 1959، ص110-111.

1- Cintas.P,Manuel d'arc heologie punique,Tome I, P36

2- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص45.

3- غانم محمد الصغير، المرجع نفسه، ص45.

4- مهران محمد بيومي، المدن الفينيقية، تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1994، ص171.

5- حتي فليس، تاريخ سوريا و لبنان و فلسطين، ترجمة جورد حداد، عبد الكريم رافق، ط 3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دون سنة نشر، ص64.

و من منطلق هذه المعطيات و الأسباب اتجه البحارة الفينيقيون نحو الحوض الغربي للمتوسط بما فيه منطقة بلاد المغرب القديم على وجه التحديد، و نذكر من أهم الأسباب:

- توفر المعادن الثمينة في غربي المتوسط لا سيما شبه جزيرة أيبيريا غرب إفريقيا، و على رأسها الفضة و الرصاص ... إلخ و إقبال سكان لوبة على اقتناء البضائع المصنفة التي يأتي بها الفينيقيون و مقايضتها بالمواد الخام مثل بئر الذهب و جلود الحيوانات المفترسة.[1]
- براعة الفينيقيين و حذاقتهم و اتصافهم بكل الصفات التي تلزمها التجارة الناجحة من علم و خلق و حسن معاملة و الحرص في اكتساب قلوب الناس و نيل الشهرة الحسنة في كل الأقطار.[2]
- إضافة إلى وجود الأخشاب بكثرة في جبال الأطلس و ذلك ما ساعدهم على إصلاح قواربهم و سفنهم فضلا عن توفر الخلجان في سواحل غربي المتوسط التي كانت تساعدهم على الرسو ليلا للاستراحة من عناء التجديف أثناء النهار أو هبوب الرياح[3].

ج/ الدوافع الاجتماعية

يعتبر الفينيقيون من أشهر الشعوب التي عشقت البحر و الترحال، لذا نجد أن سليمان بن داود عليهما السلام يسارع إلى شراكة الملك الصوري "جيرام" في رحلة بحرية تنطلق في رحلة بحرية تنطلق لتجو ب أماكن شتى لجلب المعادن و العاج ثم بعده الفرعون المصري "نخاو الأول"* 609-594 ق.م الذي سمع عن قدرة البحارة الفينيقيين فجهز بعثة استكشاف فينيقية للدوران حول إفريقيا[4].

رغم هذا لم يعرف الفينيقيون الوحدة السياسية في فترات كثيرة من تاريخهم حيث كانوا يتبعون نظام المدينة الدولة الذي فرضته عليهم عدة عوامل طبيعية و بشرية كانت تحيط بالمنطقة التي استقروا فيها، و قد نتج عن اتباع سياسة المدينة الدولة أن سادت النزاعات الداخلية بين المدن الفينيقية و كثرة التنافس بين الأمراء على الحكم [5] و قد حاولت المدن الفينيقية أن تتحد عدة مرات، لكنها فشلت في ذلك بسبب السيطرة الأجنبية التي تعانيها، كما كان أيضا للصراع الداخلي الذي كان سائدًا بين الأموريين و الآراميين و العبرانيين في منطقة سوريا الداخلية، تأثيره الخاص على ارتفاع نسبة السكان في الساحل الفينيقي بنسبة تفوق إمكانيات الاستيعاب في المدن الفينيقية

1- تراد كسيم، كتاب المعرفة: مدن و مدينات، تاريخ الحضارة ، الجزء3، مطبعة داغر ، لبنان، دون سنة نشر، ص35.

2- الناضوري رشيد، المرجع السابق، ص157.

3- دبوز محمد علي، تاريخ المغرب القديم، الجزء 1، الطبعة 1، مطبعة عيسى الباني، دون مكان نشر، دون سنة نشر، ص11.

*نخاو الأول، فرعون مصري أقام علاقات وطيدة مع الفينيقيين ، لمزيد من المعلومات أنظر: Iortoneds :Where was ancient egypts, P201 .

4- الشيخ نسيب، الحازن هيبة، من الساميون إلى العرب، منشورات الحياة، بيروت، دون سنة نشر، ص42.

5- أيمار أندريه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف أسعد داغر، منشورات عويدات، بيروت، 1964، ص256.

الساحلية، و هذا العامل أدى إلى تفشي الاضطرابات و الخلافات على السلطة بين الأعيان الأثرياء اللذين كان لهم حق الحكم.[1]

و كان الهرم الاجتماعي الفينيقي مكونا من ثلاث طبقات يأتي في أول الهرم الملك أو ما كان يعرف بحاكم المدينة، و تمتع بصفة الملك الإله حكام المدن الفينيقية الأقوياء مثل "أحيرام" الذي كان له الحكم المطلق خلال القرن العاشر ق.م ، و يلي طبقة الحكام في الترتيب طبقة الكهنة و على رأسهم كاهن معبد الإله "ملقارت" في مدينة صور، ثم مجلس الأثرياء الأرستراقطيين و أخيرا هناك مجلس طبقات الشعب.[2]

و كانت مجالس الطبقات الحاكمة بمثابة أحزاب سياسية لكل واحد منها أنصاره و معارضوه في كل طبقات سكان المدن الفينيقية، و تتضح آثار النزاع على السلطة السياسية، في الصراع السياسي الذي شب في مدينة صور خلال نهاية القرن التاسع ق.م بين أليسا و أخيها بغماليون على وراثة العرش بعد وفاة والدهما متان.[3]

ثانيا: مراحل التوسع الفينيقي

أ/ مرحلة الارتياد و الكشف و تأسيس المراكز

و هي تمثل المرحلة الأولى من الحركة الفينيقية باتجاه الحوض الغربي للبحر المتوسط و تكاد تكون دوافعها اقتصادية صرفة، فقد كان لموطن الفينيقيين على الساحل الشرقي لهذا البحر الأثر البالغ في تحديد نشاطهم الاقتصادي[4]، و بإمكاننا إعادة مرحلة ارتياد الفينيقيين الباكر لغرب المتوسط و بلاد المغرب إلى الفترة ازدهار المدن الفينيقية على الساحل ، و التي بدأت منذ القرن الثاني عشر ق.م و كان الفينيقيين خلال رحلتهم الاستكشافية الأولى عبارة عن تجار متنقلين يجرون وراء الأرباح و خاصة عندما اكتشفوا قيمة المعادن الثمينة[5]، فضلا عن ضيق الرقعة التي كان يسكنها الفينيقيون و التي تتسم بالطابع الجبلي و ضيق المساحة القابلة للزراعة، مما جعلها لا تفي باحتياجاتهم من المواد الغذائية خاصة بعد النمو السكاني الذي شهدته المدن الفينيقية[6].بالإضافة إلى سيطرة شعوب أخرى كالآرميين و الأموريين* و الفلسطنيين و العبرانيين

1- Cintqs.P: opcit, P37.

2 - Warmigtan.BH, Carthag, pelican books, London, 1964, P22.

3- غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص49، 50.

4- كونتو، ج، الحضارة الفينيقية:ت:محمد الهادي شعيرة، شركة كتب الشرق الأوسط، مصر، 1948، ص27.

5- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي، المرجع السابق، ص66.

6- مهران محمد بيومي: مصر و الشرق الأدنى و المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990، ص171.

الأموريين: أو "العموريين" أو "العمور" أو "عامولیق"، شعب سامي بدوي قديم تشير أقدم المصادر المسمارية إلى أنهم بدأوا منذ نهاية الألف الثالث ق.م بالدخول إلى أواسط الرافدين و بادية الشام على شكل موجات كبيرة قادمة من شبه الجزيرة العربية، و قد أطلق عليهم اسم "العموريون" و من ثمة أصبحت المنطقة الغربية بالنسبة إلى العراق و قد ذكر العموريين في المدونات العراقية في الألفية الثالثة قبل الميلاد، و هناك دلائل تشير إلى ازدياد عددهم و اشتداد خطرهم على بلاد بابل في الألف الثالثة قبل الميلاد منها أنّ الملك شوسين ملك أور أقام حصنا ليحمي البلاد من هجماتهم، و قد كان العموريين في نظر سكان العراق أقواما بدوية غير

على المناطق الداخلية لذلك الساحل، لذا وجد الفينيقيون أنفسهم يعتمدون على ركوب البحر و يمتهنون حرفة صيد الأسماك و الأصداف البحرية، و يرتادون شواطئ الجزر الغربية منه للبحث عن مصدر رزقهم.[1]

و قد كانت بدايتهم الأولى كتجار متنقلين يجرون وراء الأرباح، و خاصة عندما اكتشفوا قيمة المعادن الثمينة، هذه المعادن كانت متوفرة في غربي البحر المتوسط و لا سيما في منطقة شبه جزيرة إيبريا التي كانت تحتوي على مناجم الفضة و النحاس[2]، و يشبه احتياج الفينيقيين إلى معدن الفضة و القصدير و الرصاص في تلك الحقبة الباكرة من التاريخ باحتياج النهضة الحديثة إلى معادن الذهب أو البترول، و لذلك لا غرابة أن نرى الفينيقيين يعملون على تأسيس مراكز و مستوطنات في الأماكن التي تتوفر فيها هذه المواد الأولية التي كانوا يحملونها في سفنهم بقصد إيصالها إلى الشعوب المصنعة في شرقي البحر المتوسط، مثل اليونان و المنصريين، و سكان الرافدين، و قد ساعد الفينيقيين على تأسيس مراكزهم التجارية الأولى في شبه جزيرة إيبريا جهل السكان المحليين باستعمال المعادن الموجودة في بلادهم و انكبابهم على اقتناء البضائع الفينيقية المصنعة[3]، و تعتبر فترة استيطان الفينيقيين في غربي البحر المتوسط مكملة لمرحلة الارتياد الباكرة، و ليس هناك تاريخ قائم بذاته نستطيع أن نفصل به بين المرحلتين، و الاحتمال أنّ المحطات الهامة و المراكز التجارية التي كانت قد أسست في مرحلة الارتياد الباكرة في شطري الحوض الغربي للبحر المتوسط الشمالي و الجنوبي هي نفسها قد تحولت إلى مستوطنات حينما اكتملت لها الشروط الملائمة.[4]

ب/ مرحلة الهجرة و الاستيطان

و تعتبر هذه المرحلة هي الأهم في التاريخ الفينيقي في غرب البحر المتوسط، لقد بدأت هذه المرحلة مع نهاية القرن الثاني عشر ق.م و هي البداية الفعلية لتكوين إمبراطوريتهم في الغرب، و التي عرفت في التاريخ بالإمبراطورية القرطاجية فيها تم إنشاء المدن، و فيها أصبحت لهم السيادة في الحوض الغربي للبحر المتوسط[5]، و قد اختلفت عوامل الهجرة و دوافعها في هذه الفترة فلم يعد الدافع الاقتصادي وحده هو الذي يحرك الفينيقيين من الشرق إلى الغرب بل طرأت عوامل أخرى كان لها بالغ الأثر في هجرتهم، و توسيع مستوطناتهم و تكوين مدنهم في المنطقة، فعلى الرغم من أن أغلب المؤرخين يعدون هذه الفترة بداية الوجود الفينيقي في الغرب إلا أنه - في الواقع- يمكن

مستقرة تتصف بخشونة الطبع، لمزيد من المعلومات أنظر: خزعل الماجدي: المعتقدات الأمورية، دار الشروق للنشر، دون مكان نشر، 2002، ص14-16.

1- عصفور محمد أبو المحاسن، المرجع السابق، ص 73.

2- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي، المرجع السابق، ص 66.

3 -غلاب محمد السيد، الساحل الفينيقي و ظهيره، دار العلم للملايين، بيروت، 1959، ص 437.

4- نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر و الشرق الأدنى القديم، ج 3، ط الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1966، ص 118.

5- Rawlinsan, M.A Gcarge: Phoenicia, T.Fisher Unmin Pater Noster, square, NewYork, 1853, P65.

أن نسميها بداية سيطرتهم هناك، و أن القرن الثاني ق.م يعتبر بداية السيادة لهم[1]، و هناك من المؤرخين من يعيد فترة الاستيطان الفينيقي في غربي المتوسط إلى القرن العاشر ق.م، على اعتبار أن هذا القرن يمثل العصر الذهبي بالنسبة للساحل الفينيقي عامة، و مدينة صور خاصة تحت حكم الملك أجيرم بن أبي بعل (980-939 ق.م) و استطاع الملك أجيرم بحنكته السياسية و قوة شخصيته أن يوفر الاستقرار الداخلي، و يحسن علاقة صور الخارجية السياسة و الاقتصادية مع جيرانها.[2]

أما الصراع الاجتماعي الذي يتحدث عن بعض المؤرخين داخل المجتمع الفينيقي و ما نتج عنه من تناحر الأحزاب و حدوث اغتيالات داخل الأسر الحاكمة، و من ثم هروب الحزب الأرستقراطي[3] ، فإنه يفتقر إلى الحجة القوية التي تؤيده، و إنّ اللذين قالوا به إنما بنو تحليلاتهم هذه انطلاقا من أسطورة "عليسة" التي نسجها خيال الكتاب الإغريق أعداء الفينيقيين لا أكثر، و من ما تقدم يتضح لنا أنّ بدايات معرفة الفينيقيين بمنطقة غرب البحر المتوسط كانت مبكرة جدا تسبق فترة القرن الثاني عشر ق.م، التي حددتها المصادر الكلاسيكية فهي ربما تعود إلى منتصف الألف الثانية ق.م و ذلك بالاستناد إلى ما ذكرته تلك المصادر حيث حددت بداية تأسيس المستوطنات بتلك الفترة، و بالتالي تعتبر هي فترة الاستيطان و التواجد المكثف و السيطرة و ليست بداية معرفتهم بتلك المنطقة[4]، و قد ساعدتهم على إنشاء تلك المراكز أن حضورهم كان من أجل التجارة فقط، و لم يكن من أجل التحكم و فرض السيطرة[5] مما كان له الأثر الأكبر في علاقتهم بالسكان المحلين، حيث رحبوا بهم و لم يرفضوا وجودهم بينهم، فقد جاء هؤلاء الغرباء ببضائع يحتاجها الأهالي و اخذوا مقابلها الذهب و الفضة المتوفرة لديهم، و من غير المستبعد أن يكون أصحاب البلاد قد ساهموا في إنشاء تلك المراكز و تطويرها.[6]

إذا لقد عرف الفينيقيون مختلف أرجاء البحر المتوسط و أقاموا المحطات في مختلف أنحائه لكن وجودهم تركز في بعض هذه المحطات بعد أن اختاروها بعناية مراعيين في ذلك عدة شروط من أهمها وجود المياه العذبة، و وجود منطقة صخرية بالقرب منها يرجح أنها من أجل حفر القبور[7]، و في ذلك إشارة إلى أنّ اختيارهم لتلك الأماكن كان يراعي فيه إمكانية الاستقرار الدائم، و أن تكونوا على ألسنة من اليابسة متداخلة مع البحر أو جزر بحرية قريبة من الشاطئ، كذلك وجود الكثافة السكانية المحلية لضمان تصريف بضائعهم، حيث كان النشاط الرئيس للفينيقيين هو

1- توينبي أرنولد، المرجع السابق، ص60-66.
2- نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص118.
3- العسيلي بسام، المرجع السابق، ص22.
4- البركي مفتاح محمد سعد، الصراع القرطاجي الإغريقي، مجلس الثقافة العام، سرت، ليبيا، 2008، ص42.
5- رايست جون، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ترجمة المبار عبد الحفيظ و احمد اليازوري، دار الفرجاني للنشر، ليبيا، 1972، ص23.
6- الناضوري رشيد، المرجع السابق، ص165.
7- عصفور محمد أبو المحاسن، المرجع السابق، ص54.

ممارسة التجارة، و لذلك فإن المناطق المأهولة بالسكان كانت ذات أهمية بالغة في اختيار الفينيقيين لإنشاء تلك المراكز، و كذلك وجود الموانئ المناسبة لرسو السفن.[1]

و لا يمكن أن نستعرض لأهم المناطق التي أقام فيها الفينيقيون مراكزهم و مستوطناتهم فهي ليست موضوع دراستنا.

و كانت قبرص هي أولى المناطق التي ارتادها الفينيقيون و أسسوا بها عدة مراكز تجارية بعد خروجهم من وطنهم الأصلي، و هي تعتبر بوابة العبور الفينيقي نحو غرب البحر المتوسط[2]، و من قبرص انتقل التجار الفينيقيون إلى الجزر اليونانية في بحر إيجة و أقاموا علاقات تجارية هناك، حيث عرفهم اليونانيون و أطلق عليهم الاسم الذي عرفوا به فيما بعد بالفونيكس و أنشأوا لهم نقاط هناك.[3]

أما على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط فإن اتصال الفينيقيين به كان مبكرا في الجزء الشرقي منه، يعود إلى عهد الدولة الفرعونية القديمة، و لكن الفينيقيين كانوا يكتفون بإنشاء وكلات تجارية لهم داخل الدول القوية ذات السيادة، فقد أنشأوا لهم في مصر مركزا تجاريا لهم على هيئة وكالة عرفت بمعسكر الصوريين.[4] ثم أسسوا بعد ذلك في الشمال الإفريقي مدينة عتيقة * و هي أقدم المراكز الفينيقية على الساحل الشمالي لإفريقيا حيث أسست في القرن الثاني عشر (ق.م)، و هي تقع إلى الغرب مدينة قرطاج التي أصبحت حاضرة للفينيقيين فيما بعد.[5]

و قد أسس الفينيقيون مراكز أخرى أصبحت مدنا فيما بعد إلى الشرق من عتيقة امتدت شرقا حتى خليج سرت الكبير، فعلى سبيل المثال لا الحصر كانت حضر موت "سوسة"، و لمطة "لبدى الصغرى" و صبراته، و لبقى التي تعتبر أكبر المراكز الفينيقية شرق قرطاجة، كما أسسوا مراكز أخرى باتجاه الغرب مثل "هيبون و بنزرت"[6]

1- Moscati ;s :OP.cit, P47. المبار عبد الحفيظ,

2- عصفور محمد أبو المحاسن، المرجع السابق، ص59.

3- Moscati ;s :OP.cit, P51.

4- كونتنو، ج، المرجع السابق، ص69.

*عتيقة (غرب قرطاجة) هي أقدم المراكز الفينيقية على ساحل إفريقيا الشمالي، حيث أسست في نهاية القرن الثاني عشر ق.م و قد كانت مدينة عتيقة أو "اوتيكا" محطة تأتي إليها السفن من الساحل الفينيقي في الشرق و المتجه نحو مصدر المعادن في الغرب، محطة لتوزيع البضائع القادمة من الشرق و لإراحة السفن القادمة من الغرب، حيث إنها تقع في نصف المسافة تقريبا بين بلاد الثراء في الغرب، و بين الوطن الأم في الشرق (أنظر : محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص90.

5- فنطر محمد حسين، الحرف و الصورة في عالم قرطاج، منشورات البحر الأبيض المتوسط، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص14.

6- ديكريه فرانسوا، قرطاجة الحضارة و التاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق، 1994، ص47.

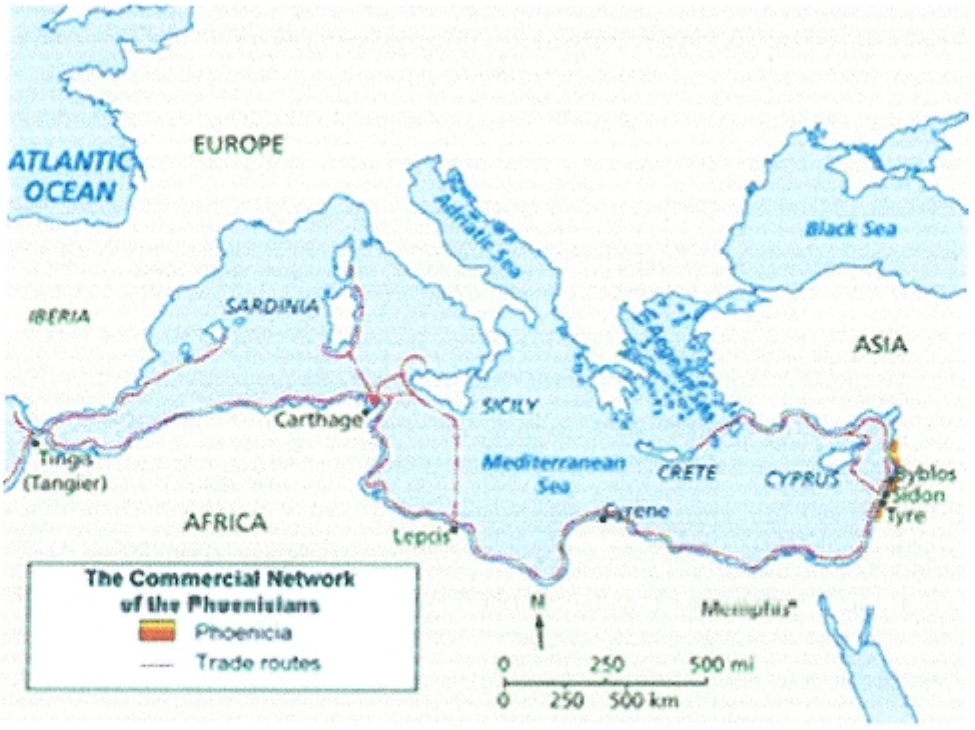

الشكل 01: خريطة تمثل التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط

http://en.wikipedia.org/wiki/Phoenicia

الفصل الأول

قرطـــاجة زعيمة المدن الفينيقية

الفصل الأول: قرطاجة زعيمة المدن الفينيقية

المبحث الأول: تأسيس قرطاجة

أولا: التسمية :

قرطاجة - كرتاجو- كارتشادون- قرت حدشت- تسميات أطلقت على مدينة واحدة أسست في ما يعرف حاليا بالشمال الإفريقي على يد مهاجرين من السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط[1]، قدر لها أن تكون حاضرة لأقوى إمبراطورية شغلت الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال الفترة من القرن السادس حتى القرن الثاني ق.م تقريبا و ان تلعب دورا مهما في التاريخ الحضاري للمنطقة، حيث تركت لنا ما عرف بالحضارة البونية التي كانت لها آثار قوية على شمال إفريقيا استمرت حتى بعد زوال تلك الإمبراطورية على أيدي الرومان، و قد استطاعت في عهدها أن تفرض سيطرتها التجارية و العسكرية في غرب المتوسط حتى بداية الحروب البونية في منتصف القرن الثالث ق.م و التي اسمرت حتى تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م تقريبا.[2]

إن كلمة قرطاجة تعني في اللغة اللاتينية "كرتاجو" وفي الإغريقية "كرتشادون"، بينما كانت تعنى لدى الكنعانيين و هم سكان المدينة الأصليين "كيرجات حدشت" أي "قرتحدشت" أو المدينة الجديدة.[3]

و من خلال التسمية يتضح لنا أن هناك مدينة سابقة لها في النشأة، و يميل أغلب المؤرخين إلى أن المدينة هي مدينة "عتيقة" التي أسست في نفس المنطقة حوالي عام 1100 ق.م و أن التسمية جاءت كتمييز للمدينة الجديدة عنها[4]، و هي تقع غير بعيدة عن المدينة الجديدة "قرطاجة"، و هناك رأي آخر يقول: إن هذه التسمية جاءت من الشرق، فقد جاء اسم المدينة الجديدة لتمييزها عن مدينة صور الأم، حيث أصبحت تشكل مركز الثقل الفينيقي في غرب البحر الأبيض المتوسط، و أصبحت تعوض مدينة صور، فتحولت أنضار الفينيقيين إليها بعد أن أجرتهم بالقرب منهم من جهة أخرى، و أصبحوا يعنون بالمدينة الجديدة العاصمة الجديدة للفينيقيين[5].

ثانيا: الموقع:

تتميز المدن الفينيقية بشكل عام في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بوقوعها على نتوءات من اليابسة في داخل البحر و بالتالي فهي تشكل أشباه جزر، أو أنها تنشأ على جزر تكون قريبة من اليابسة[6]، و في هذا دلالة على أنّ المدن الفينيقية كانت في بداياتها عبارة عن مراكز

1- بروتر هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص105.

2- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص61.

3- ALFRED,J :church, MA : carthag ar the empire of Africa, T.Fisher unwin, new yark, G.P, 1886, P11.

4- جوليان شارل أندريه، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة طلعت أيظة و عبد المنعم ماجد، دار نهضة مصر، 1986، ص 85.

5- عصفور محمد أبو المحاسن، المرجع السابق، ص66.

6- Rawlinson, G.M.A :OP, cit, P60-63.

بحرية تجارية، ثم تطورت حتى أصبحت مدنا كبيرة، و جاء هذا النمط كنتيجة لطبيعة الفينيقيين البحرية، و امتهانهم ركوب البحر، و مدينة قرطاجة هي إحدى هذه المدن، بل و أعظمها أنشئت على هذا النمط في غرب البحر المتوسط، و تقع مدينة قرطاجة على الساحل الشمالي لإفريقيا الحالية، فيما يعرف الآن بتونس في موقع قد تم اختياره بعناية فائقة، من حيث صلاحيته لرسو السفن و الإبحار منه، في خليج صغير به ميناء طبيعي إلى جانبه تجري المياه العذبة في نهر "بجرادس" وادي مجردة و كانت الأرض المحيطة بالموقع خصبة و غنية بأهم المواد الغذائية، كالقمح و النبيذ و الزيت[1]، و كان بهذا الخليج نتوء من اليابسة يحيط به البحر من جهة الشرق و من الجنوب محاط ببحيرة تونس، بينما تحيط به من الشمال سبخة أريانة التي كانت في ذلك الوقت عبارة عن خليج بحري، و بذلك فإنه أشبه ما يكون بالجزيرة و هو يشغل المنطقة المعروفة الآن بسيدي أبو سعيد[2]، أما من الخلف فإنه محمي تبله يصل ارتفاعها إلى حوالي 78,7 متر تقريبا تسمى "بيرصا" أ القلعة بني على قمتها معبد للإله "أشمون" و لا تتصل باليابسة إلا عن طرق برزخ ضيق يبلغ عرضه أربعة كلم و نصفا تقريبا.[3]

و يعتبر موقع قرطاجة من أفضل المواقع التي أنشئت عليها المدن الفينيقية في غرب البحر المتوسط، فهو يتميز عنها بأنه يقع في خليج محمي من الرياح الشمالية الغربية و الرياح الغربية، مما يجعل عمليات الرسو و الإبحار سهلة و ميسورة، كما أنه يتمتع بظهير زراعي جيد، يسمح بالتمدد إلى المناطق الداخلية الخصبة التي استغلت لسد حاجيات مواطنيها من المواد الغذائية فيما بعد، أما على المستوى الاستراتيجي فإن قرطاجة تقع في منتصف المسافة بين المستعمرات الفينيقية في الغرب و الوطن الأم في الشرق تقريبا، و هي قريبة جدا من جزيرة صقلية إذ لا تزيد المسافة بينهما عن 140 كلم تقريبا، كما أنها تقع في مواجهة سردينيا من الجنوب[4]، و بهذا الموقع الموقع أصبحت قرطاجة بالتلاقي مع صقلية و قربها من مالطة تشكل بوابة غرب البحر المتوسط و تشكل مثلثا من المستوطنات الفينيقية في صقلية و سردينيا، يجعل من البحر المتوسط الغربي بحيرة فينيقية لا يمكن الدخول إليه من الشرق إلا بإذن من قرطاجة، هذا فضلا عن توسطها للمستوطنات الفينيقية في شمال إفريقيا.[5]

1- ALFRED, J, church, M.A.op.cit, P12.

2- Warminglan, B.H, op, cit, P26.

3- غانم محمد الصغير، المرجع السابق، ص .

4- أبورونية الشاذلي محمد الطاهر: قرطاجة البونية، "تاريخ حضارة"، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999، ص 218.

5- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص64.

ثالثا: تاريخ التأسيس:

لقد أثارت مسألة تاريخ تأسيس قرطاجة جدلا واسعا بين البحثين فقد انقسموا إلى قسمين:

أ/ القسم الأول: اعتمد على المصادر الكلاسيكية المتمثلة في الكتاب القدماء من إغريق و لاتين، حيث يذكر أنّ أول تاريخ لتأسيس قرطاجة يعود إلى نهاية القرن الثالث عشر (ق.م) أي 1213 ق.م تقريبا و هو التأسيس الأول المفترض و ينسب إلى أسطورة "زور دكارشيدون" و قد ذكرها مجموعة من المؤرخين و على رأسهم متلسيتوس السرقوسي المؤرخ الإغريقي الذي عاش في القرن الرابع (ق.م)، و تبعه في ذلك أرقسون و أبيان[1]، و كانت كلمة زور تعني صور و "كارشيدون" هو الاسم الإغريقي لقرطاجة[2]، و الرأي الثاني يقول بأن تأسيس قرطاجة قد تم في الربع الأخير من القرن التاسع "ق.م" و يميل إليه أغلب المؤرخين و إن اختلفوا في سنتي التأسيس[3]، و الافتراض الأول يمكن أن نأخذه و نعتبره بداية تأسيس قرطاجة كمركز تجاري، و من ثم كمستوطنة، و هذا ما يعتبر بداية التأسيس الفعلي لها[4]، خاصة إذا سلمنا بأن الفينيقيين كانوا يقيمون المحطات التجارية في أماكن متقاربة و هذا ما تؤكده المسافة بين قرطاجة و عتيقة و من المرجح أن تكون قرطاجة قد أسست كمركز تجاري قبل عتيقة، و في هذا الصدد يبدي شارل أندريه جوليان استغرابه فيقول "إن ما يثير الاستغراب على ما يبدو أن يؤسس الفينيقيون هذه المراكز البعيدة قبل أن يضمنوا الأماكن التي تسيطر على مدى نشاط ملاحتهم كل ثلاثين كلم تقريبا.

الشكل 02: خريطة مدينة قرطاجة
محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص104.

و بالطبع فإن ما يقصد به عتيقة - قادش- ليكسوس "أقدم المدن الفينيقية في غرب البحر المتوسط، فمدينة قرطاجة شأنها شأن المراكز الفينيقية الأخرى، قد مرت بالعديد من المراحل، حيث كان الاستيطان الفينيقي في المنطقة يبدأ بمرحلة الاستكشاف و التعامل التجاري عبر هذه المراكز التي كانت تابعة للمدن الفينيقية في الشرق[5]، و من ثم فقد تدرجت حتى أصبحت عاصمة

1- القرجوي أحمد، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة، المعهد الوطني للتراث، تون، 1993، ص11.
2- Fantar.M.H , Carthage, la cite punique, ALIF, ces éditions de la méditerranée, Tunisie,1998, P 29
3- ميز، ن، الأتروريون و القرطاجيون - أصلهم و تكاثرهم) كتاب تاريخ العالم، المجموعة 2، ترجمة إدارة الترجمة و المعارف العمومية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دون سنة للنشر، ص95.
4- جوليان شارل أندريه، المرجع السابق، ص85.
5- رجب محمد عبد الحليم، الموسوعة الإفريقية "المحات من تاريخ القارة الإفريقية"، الجزء 2، جامعة القاهرة، 1997، ص27.

الإمبراطورية، و استطاعت أن تفرض سيادتها في غرب البحر المتوسط فاختار الفينيقيون لهذا الموقع و مجيء "عليسة" و حاشيتها لهذا المكان لم يأت مصادفة و إنما جاء بعد دراسة مستفيضة، حيث وقع عليه الاختيار ليكون موقعا لمدينة جديدة ينتقل إليها الفينيقيون من الشرق و تكون ممثلة لصور في الغرب، بعد ما أصبحت الحاجة ماسة للاقتراب من مصالحهم التي تزايدت بشكل ملحوظ في المنطقة، و بذلك لابد أن يكون التأسيس الفعلي لقرطاجة سابقا للقرن التاسع ق.م و هو التاريخ المتعارف عليه[1]، و تورد أغلب المصادر التاريخية الكلاسيكية أن تأسيس قرطاجة قد تم خلال النصف الأخير من القرن التاسع ق.م، و إن اختلفت سنوات التأسيس لديهم فظهرت ثلاث آراء في هذا الصدد: فالرأي الأول يعتمد على تاريخ سقوط قرطاجة عام146 ق.م كأساس، حدد بموجبه تاريخ نشأة المدينة، حيث قال البعض: إنها عاشت 700سنة، و بالتالي فإن تاريخ تأسيسها يعود إلى 846 ق.م على رأس هؤلاء تيتيوس اريوس، بينما يذكر باتروكولوس أنها عاشت 667 سنة، و بذلك فإن تأسيسها يعود إلى 813 ق.م.[2]

أما الرأي الثاني فيربط تأسيس المدينة بتأسيس روما و على رأس هؤلاء بوستنوس الذي يقول: إن الفارق بين المدينتين هو 72 سنة، و بالتالي فإن تاريخ تأسيس قرطاجة يوافق 825 ق.م بالنظر لتأسيس روما المحدد بسنة 753 ق.م.[3]

و الرأي الثالث و هو الرأي المتفق عليه كما يبدو، فإن أصحابه يربطون تأسيسها بإقامة الألعاب الأولمبية في عام 776 ق.م، حيث إن تأسيس قرطاجة يسبق تلك الألعاب بحوالي 38 سنة تقريبا و من هنا فإن تأسيس قرطاجة يوافق 814 ق.م[4]، و ترجح أغلب المصادر الكلاسيكية الرأي الأخير.

ب/ القسم الثاني

أم القسم الثاني من الباحثين فإنه يرفض الاعتماد على المصادر الكلاسيكية التي يشوبها الكثير من الخيال و عدم الواقعية، و يفضل الاعتماد على علم الآثـار، خاصة و أن حفريات الحملة الأسمية لإنقاذ قرطاجة قد تمكنت من ملائمة المعطيات الأثرية و رواية التأسيس عام 814 ق.م.[5]

و ارتبط هذا التاريخ بأسطورة تأسيس المدينة، تلك الأسطورة التي تمحورت حول بطلة القصة التي تدعى عيلسة *.

1- أبو رونية الشاذلي محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 89.

2- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص 66.

3- Moscati ;s :OP.cit, P 98.

4- الفرجاوي أحمد، المرجع السابق، ص 18.

5- أبو رونيه الشاذلي، الرجع السابق، ص 118.

*عيلسة: أو ELIASSA ابنة "متان" ملك صور، هربت من ظلم أخيها بيجماليون PYGMALION الذي خلف اباه في حكم صور و كانت متزوجة من خالها "أشربأس" أحد كهنة المعبودة ملقارت الذي كان على خلاف مع بيجماليون الذي أمر بقتله مما دفع إليسا أو عليسة إلى جزيرة قبرص مع عدد من المعارضين لأخيها من بينهم الكاهن "الأكبر للإلهة عشتارت، الذي اشترط أن تكون الكهانة وراثية في أسرته لمرافقتها، و لكن إليسا سرعان ما انتحرت عندما أراد رئيس البربر أن يتخذها زوجة له، لهذا كثيرا ما يسمي الرواة الأميرة أليسا هذه باسم ديدون بمعنى الهاربة و هو اسم غير فينيقي، لمزيد من المعلومات أنظر: قليب حنبي: لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، 1959، ص111.

إنّ ملخص هذه القصة الأسطورية يقول إنّ قرطاجة قد تم تأسيسها على يد الملكة عليسة أخت الملك الصوري "بيجماليون"، و أن المدينة قد أسست في السنة السابقة لحكم هذا الملك بعد أن قام باغتيال زوج أخته عليسة المدعو أشرباص طمعا في أمواله، و استطاعت عليسة أن تهرب بأموال زوجها بعد أن خدعت أخاها و اختطفت من قبرص حوالي ثمانين فتاة لاتخاذهن كزوجات لرفاقها، و اتفقت مع الكاهن الأكبر في قبرص ليصحبها إلى الوطن الجديد على أن تكون له الكهانة وراثية[1]، و هنا هربت إلى الشمال الإفريقي حيث نزلت في الموقع الجديد و ابتاعت من السكان المحليين قطعة أرض تقدر مساحتها بجلد ثور، إلا أنها قامت بتقطيع جلد الثور إلى سيور رفيعة حيث أحاطت به أكبر قدر من الأرض، و تسمى الأسطورة فيذكر أن هناك ملكا في إفريقيا طلب الزواج من عيلسة و برفضها أعلن الحرب عليها و قد استطاعت أن تخرج من هذه الورطة بالانتحار و هنا تنتهي الأسطورة و هذه القصة الأسطورية لا يمكننا أن نعول عليها كثرا و لا أن نبني على أحداثها حدثا كبيرا كحدث تأسيس مدينة قرطاجة التي أصبحت عاصمة أعظم إمبراطورية في غرب البحر المتوسط، نظرا لما تحتويه من دس و محاولة تشويه من قبل كتابها الإغريق الذين تربطهم علاقة عداء بالفينيقيين[2]، فمحاولة تصوير أن تأسيس المدينة قد جاء نتيجة الصراع في البيت المالك في صور و ترتب عليه هروب بعض افراد الطبقة الأرستوقراطية إلى جانب الملكة و حاشيتها، فإن هذا قابل للجدل لأنه يتعارض تماما مع طبيعة العلاقات التي أصبحت تربط قرطاجة بمدينة صور، و التي اتسمت بالتبعية التامة أثبتها إرسال السفارات السنوية من الغرب إلى الشرق حاملة النذور إلى معبد الإله "ملقرت" للمشاركة في الاحتفالات الدينية[3]، و العلاقات التي ربطت قرطاجة بالشرق الفينيقي بشكل عام و مدينة صور بشكل خاص و من هنا و مما تقدم لا يمكننا الأخذ بالأسطورة و الاعتماد على ما جاء فيها بل رفضها باستثناء الفترة الزمنية التي جاءت فيها الأميرة.[4]

المبحث الثاني: زعامة قرطاجة للمستعمرات الفينيقية

أولا: ضعف المدن الفينيقية في الشرق

تعاقبت المدن الفينيقية الواقعة على ساحل البحر المتوسط الشرقي في تأسيس المراكز التجارية و المستوطنات في الغرب، و تناوبت السيادة عليها حسب سيادتها في الوطن الأصلي، و كان أهم هذه المدن صيدا و صور، و قد ظلت هذه المراكز تابعة مباشرة لمدنها الأصلية، تدير شؤونها و تأتي منها بالضائع و توزع من خلالها منتجاتها، و بذلك فهي عبارة عن نقاط متقدمة لها، و لذا فقد ظلت السيادة شرقية خالصة حتى بداية القرن السادس "ق.م" حيث لم يعثر على ما يدل على استقلال إحدى هذه المستوطنات، و لم نعثر على أي ذكر لحكومة لإحداها في أي وقت من الأوقات

1- ديكريه فرانسوا، المرجع السابق، ص56.
2- أرسطو، كتاب السياسة، ترجمة احمد لطفي السيد، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1970، ص 174.
3- المير عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 114.
4- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص 69.

قبل هذه الفترة[1]، و لا يستبعد أن تكون تلك المراكز تحت سيطرة أشخاص بعينهم يشرفون على نشاطهم التجاري إما مباشرة؛ و إما عن طريق وكلاء يديرون شؤونها تحت لواء دولة المدينة، و غالبا ما يكونون من ذوي السلطات في المدينة الأم و يوحي لنا بذلك تحول تبعية هذه المراكز بانتقال أهم الشخصيات في تلك المدن إلى قرطاجة بعد إحساسهم بعدم الطمأنينة في الشرق.[2]

إن ما يجري من أحداث في الشرق كان ينعكس بدوره على الوجود الفينيقي في اغرب، فقد ضعفت مدينة صور، و فقدت قوتها نتيجة للضغوطات المستمرة إلى حد فقدانها حريتها أحيانا، و تبع ذلك تناقص في سيادتها على مستوطناتها في الغرب حيث أصبحت لا تستطيع حمايتها أو تقديم العون لها أو حتى الدفاع عن مصالحها هناك و هي التي كانت لها الزعامة في الشرق، و بذلك أصبح لزاما على أقوى مدينة فينيقية المنطقة أن تتحمل المسؤولية و إن تراجع الدور الصوري فيها.[3]

ثانيا: ظهور بعض القوى المنافسة في غرب البحر المتوسط

إنّ ظهور دولة المدينة في بلاد اليونان و استقرارها ترتب عليه بداية التوسع الإغريقي و تحول أنظارهم إلى الخارج، و بداية إنشاء المستوطنات في الغرب في جنوب إيطاليا و على ساحل البحر المتوسط الجنوبي ممثلة في مستعمرة "قورينى" خلال القرن السابع ق.م، حوالي 631 ق.م تقريبا بذلك أصبحوا يقسمون البحر إلى قسمين[4]. مما أدى على حرمان المراكز التجارية و المستوطنات الفينيقية التي كانت تنتشر في الغرب من الوصول إلى الوطن الأم بأمان، خاصة و أنّ العلاقات الفينيقية الإغريقية ليست ودية في كثير من الأحيان، و لذا فقد أصبحت هذه المراكز في حاجة إلى من يحميها و يقف في وجه القوة الجديدة الزاحفة نحوها و المتمثلة في المستوطنات الإغريقية الجديدة التي أصبحت تنافس الفينيقيين في تلك المنطقة، فمنذ مطلع القرن السادس ق.م أي حوالي 580 ق.م، حاول الإغريق بزعامة "سيلينوس" طرد الفينيقيين من صقلية بالقضاء على مستوطناتهم فيها مثل موتيا و بانورومس، و بالنظر لضعف هذه المراكز فإنه أصبح من الواجب على قرطاجة التصدي لهذه المحاولات، و بالفعل فقد استطاعت الحد منها[5]. هذا الزحف الإغريقي و تأسيس المستوطنات أدى إلى إحساس الفينيقيين بالخطر في الأماكن التي كانت قريبة من هذه المستوطنات، ففي سردينيا اتحد الفينيقيون لمواجهة ذلك الخطر، و من المرجح أنّ ذلك قد تم تحت إشراف قرطاجة إن لم يكن بإيعاز منها، و لزيادة نفوذها و إحكام سيطرتها هناك تحالفت مع الأتروسكيين الذين خاضت معهم معركة الإليا عام 535 ق.م ضد الإغريق فكان لها النفوذ

1- الفرجاوي أحمد، المرجع السابق، ص192.

1- Weill Raymond, Phoenicia and Westerin Asia to the Macedonian can quest Tranztated Ernest, F.Raw -Arno press, New York Times Company, New York, 1978, P194 - 198.

3- الناضوري رشيد، المرجع السابق، ص172.

4- Finly, M.I the Greek Historians, Chatto & Windus, London, 1939, P1299

5- الأشقر الأسد، الخطوط الكبرى في تاريخ سوريا و نشوء العالم العربي، الجزء 1، الحضارات الكنعانية السورية في حوض المتوسط، دون مكان نشر، 1980، ص43.

الأقوى في البحر التيراني، و نتيجة لما بذلته من جهود جبارة لحماية المراكز الفينيقية و للمكانة التي تمتعت بها فقد تم الاعتراف لها بالزعامة[1].

يضاف إلى ذلك أن سيطرة الإغريق على مضيق مسينا الذي يربط الجنوب الإيطالي بجزيرة صقلية قد قطع الطريق على السفن الفينيقية الآتية من الغرب و منعها من استخدام ذلك المضيق مما دفعها إلى اللجوء إلى ميناء قرطاجة الكبير[2]، الأمر الذي منحها ميزة أن تكون قبلة السفن الفينيقية الذاهبة إلى الغرب و العائدة منه، و ظهور قوة جديدة ناشئة في الشمال تمثلت في القوة الرومانية بدأت تأخذ مكانها و تضيق المجال أمام الفينيقيين، حيث دخلت في صراع مع الأتروسك شركائهم التجاريين في المنطقة، و عملت على إخضاعهم و إدخالهم في حضيرتها، و ليس من المستبعد ان تكون قد تحالفت مع الإغريق ضدهم، و في هذا الأمر إنذار للفينيقيين أنفسهم، فقد شعروا بأنهم أمام أخطار جسيمة و انه لابد لهم من إيجاد حام لهم على قدر من القوة يلجؤون إليه و ليس هناك من يضطلع بهذا الدور سوى قرطاجة، فاتجهت أنظارهم إليها و ازداد تقربهم منها و لم تتأخر هي أيضا فانتهزت الفرصة لتجعل من نفسها حامية لها عوضا من زعيمتهم في الشرق[3]، و ورثت تلك التركة الثقيلة التي وجدت نفسها مسؤولة عنها و ملزمة بتحمل أعبائها فعملت على بسط سيطرتها على تلك المراكز، فجعلت بعضها تابع مباشرة و البعض الآخر بشكل غير مباشر.[4]

ثالثا: طبيعة قرطاجة

تميزت قرطاجة بموقع جغرافي ممتاز فقد كانت تحتل موقعا استراتيجيا يتوسط ساحل إفريقيا الشمالي و كانت هي الأقوى بين المدن الفينيقية و هي التي تمتعت برعاية مدينة صور في الشرق[5]، كما أنها كانت تتمتع بإمكانيات اقتصادية و عسكرية ميزتها عن غيرها[6]، كما كان لتوسطها المراكز الفينيقية دور في أن تكون حلقة الوصل كمحطة تجارية في بادئ الأمر قم ما لبثت أن أصبح لها التفوق، كما أنها بفعل نموها التجاري السريع نتيجة الحركة الدؤوبة في موانئها و ازدهار اقتصادها و توجه الصوريين إليها أصبحت قرطاجة مركزا للثقل الفينيقي في غرب البحر المتوسط[7]، هذه القوة مكنتها من الوصول إلى أقصى المستوطنات في الغرب و أن تبهرها بالقوة التي وصلت إليها فافتتحتها بالانضواء إليها عن طيب خاطر، فلم يحدث أن سمعنا أنّ القرطاجيين قد أجبروا إحدى المستوطنات على الانضمام إليها بطريق القوة، و إنما كان كل ذلك بفضل قناعة باقي المستوطنات على الانضمام إليها و بأن قرطاجة هي الوارث الشرعي لمدينة صور، فاضطلعت بهذا الدور و بسطت حمايتها على أبناء عمومتها من خليج سرت شرقا حتى

1- وارمنجتون، ب.هـ، العصر القرطاجي تاريخ إفريقيا العام، ترجمة عبد الرحيم مصطفى و آخرون، حضارات إفريقيا القديمة، دون مكان نشر، 1985، ص456.

2- مازيل جان، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة: ربا الخس، دار الحوار للنشر و التوزيع، سوريا، 1998، ص105.

3- نصحي إبراهيم، المرجع السابق، ص245.

4- الفرجاوي أحمد، المرجع السابق، ص127.

5- الفرجاوي أحمد، المرجع السابق ،ص127.

6- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص76.

7- Rawlinson, GA, M : OP, cit, P65.

بلاد أيبيريا و اعمدة هرقل غربا[1]، و من هنا فإن هذه الزعامة لم تأتي مصادفة و لا بقوة السلاح، و إنما جاء نتيجة عوامل تضافرت و جعلت من قرطاجة زعيمة للوجود الفينيقي في غرب البحر المتوسط، و أدى ذلك إلى نمو قرطاجة و تكوين الإمبراطورية القرطاجية فيما بعد.[2]

1- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غرب المتوسط، المرجع السابق، ص112.
2البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص77.

الفصل الثـــاني

البنية التحتية للتجارة القرطاجية و تنظيمها

الفصل الثاني: البنية التحتية للتجارة القرطاجية وتنظيمها

المبحث الأول: مقومات التجارة القرطاجية

أولا: الموانئ:

الشكل 03 : مجسم يمثل ميناء قرطاجة العسكري.
Badisches Landesmuseum, Hannibal ad portas, THEISS, 2005, P95.

يعد البحر المتوسط من أحسن البحار حيث يتشكل من عدة عناصر حيوية ساعدت على الملاحة كانعدام الحواجز، وقلة السيارات القوية، مما يساعد على سير السفن التي تبحر قرابة الساحل فضلا عن تميزه بكثرة الموانئ والجزر بحوضه الشرقي، مما يجعل هذه الأخيرة نقاط استدلال[1] ولقد ساعدت كثرة الموانئ على ازدهار الحركة التجارية لدى الفينيقيين ودفعها نحو الأمام، وقد اتبع القرطاجيون على غرار وطنهم الأم مبدأ الموانئيين في المدينة التجارية الواحدة سواء كان ذلك في فينيقيا الأم أو في معظم مستوطناتهم الأخرى في غربي المتوسط، وكان هدفهم من ذلكم في بدية الأمر وضع سفنهم في مأمن من التقلبات الطبيعية[2]، كما ساعد الفينيقيين على بناء الموانئ طبيعة مدنهم على رؤوس داخل البحر أو جزر قريبة من الساحل وقد بنيت على النمط الفينيقي الأول حيث كانت المدينة تتمتع بميناءين أحدهما إلى الشمال من المدينة والثاني إلى الجنوب منها[3]، فمثلا إذا كانت الرياح شمالية فإنهم يرسون في الميناء الجنوبي من المدينة وإذا كان العكس فإنهم يختارون الميناء الشمالي وهكذا استطاعوا بفضل براعتهم أن يتقوا التقلبات الطبيعية في أول الأمر [4].

وقد وصف المؤرخون ميناء قرطاج في غربي البحر المتوسط، فهي الأخرى قد بنيت على رأس داخل البحر وتتمتع بميناءين أحدهما تجاري له شكل مستطيل يحيط به سور قوي يبلغ عرضه حوالي 4,53م، يقفل مدخله بسلاسل حديدية [5].

1- منصوري خديجة، الرحلات عبر البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة، مجلة الدراسات الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الثانية، العدد الثاني، 2002، ص158- 176.
2- هامرتن جون، تاريخ العلم، المجلد الثاني، ترجمة وزارة المعارف، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ص271.
3- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، المرجع السابق، ص62.
4- Fougeres Gustave, peuples et civilisation, Histoir Generales, Felex Alcan, Paris, 1926, p228-232.
5- Contenou.G, la civilisation phénicienne, Payat, Paris, 1949, P288.

وهناك قناة توصل إلى ميناء داخلي له شكل دائري هو الميناء الحربي الذي كان يعرف باسم (القاطون)(1)*

و ليس هذان المرفآن سوى ملجأين اصطناعيين بنيا داخل سور المدينة وربما سهل الدخول إلى المرفأ التجاري لأنه كان يوفر الحماية للمراكب العابرة فازدهر فيه التبادل التجاري وأحاط به من جهة البحر صف من الصخور التي رصفت لحماية الشاطئ أما مدخله فيقع مباشرة غرب رأس كرام، ويحميه حاجز محصن مازالت قاعدته القوية قائمة إلى اليوم.

و تتخذ هذه القاعدة شكل مستطيل واسع وتخترقها من جهتها البحرية لأقنية صغيرة معدة لتستقبل الماء فتحد من ضغطه عند هياج الموج، ومنذ بضع سنوات أثار تحديد موقع مرفأي قرطاج نقاشا طويلا، فاعتقد بعضهم أن أول مرفأ في قرطاج كان يتبع للمركز التجاري القديم برج جديد ويقع في الخليج الصغير الجاثم على سفح التلة، ومنذ اكتشاف المعبد الفينيقي الذي يرجع عهده إلى أواخر العصر البرونزي في مذبح سلمبوبات من الواضح أن موضع المرفأين القرطاجيين لا يبعد عن هذا المعبد ويتأكد لنا ذلك إذا ما التفتنا إلى البحيرتين اللتين مازالتا في الشمال الشرقي من خليج كرام وتبد إحدى البحيرتين مستطيلة الشكل والأخرى دائرة ويمكن اعتبارها كعنصرين باقيين من المرفأين الفينيقيين.(2)

ولقد سمحت أعمال التنقيب الأثرية التي جرت في ساحل تونس والجزائر ومراكش بالكشف عن سلسلة "مراس" بونية عديدة، ونلاحظ من جهة أخرى أنه بين المدن الموانئ التي انتشرت على هذا الساحل في العصر الروماني كان الكثير يحمل أسماء تنتهي بالمقطع السامي "روس Rus" والذي يقابله بالعربية "رأس" ويدل ذلك على أنها شيدت في مواقع كانت قد أنشأت فيها من قبل مستوطنات فينيقية بونية وهي منتشرة على الساحل يمتد أكثر من ألفين من الكيلومترات.(3)

1- Gsell.S, histoir de l'Afrique du nord, TomeI, P59-60.

* القاطون: يعني المنحوت، فالكلمة مشتقة من فعل قط، ذلك أن هذا الميناء نحته الفينيقيون داخل الصخور مما يدل على البراعة العالية التي كان يتمتع بها الفينيقيون. لمزيد من المعلومات، انظر محمد بيومي مهران، مرجع سابق، ص59.

2- ميادان مادلين هورس، تاريخ قرطاجة، ترجمة إبراهيم بالش، منشورات عويدات، بيروت، 1981، ص45.

3- ديكرية فرانسو، المرجع السابق، ص96.

ومن أهم موانئها ميناء "هيبو"* أو هيبوأكراهي بنزرت الحالية وكان لها مرفأ عظيم في بحيرة بنزرت.(1)

ومن مراسي بعض المدن القرطاجية في الجزائر هيبون، جيجل، صلداي، قسيوم، شرشال ووهران، فهيبون مثلا أثناء الفترة القرطاجية لعب ميناءها دورا هاما في التجارة المتوسطية، فمن هيبون كانت تصدر محصولات الجهة الفلاحية.(2)

ويقول قزال أن أكثر المستعمرات البونيقية لم تكن مرافئ للتسجيل لأساطيل مستقلة بل كانت مخازن تأتيها سفن العاصمة

التفريغ و الشحن.(3)

أما المحطات التجارية التي كشفت عنها الحفريات في المنطقة التي تقوم عليها حاليا مدينة ويلقا إلى الغرب من أعمدة هرقل فقد تمتعت بمرفأين تجاريين بسبب وقوعها على رأس ناجم عن تلاقي نهرين و هما أوديان و ريوتينتو وعلى مصب أنهار صغير كانت تقع مالاغا وأبديرا و مستوطنات فينيقية أخرى عثر عليها نتيجة عمليات التنقيب، وبفضل هذه الموانئ الإستراتيجية كان باستطاعة السكان تعاطي التجارة البحرية وصيد السمك، وإقامة اتصالات مع المناطق الداخلية من البلاد بطريقة سهلة نسبيا.(4)

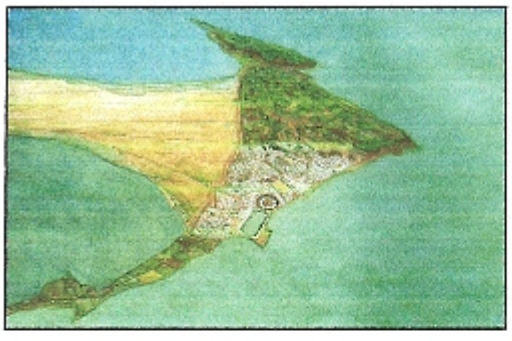

الشكل 04 : صورة جوية تمثل ميناء قرطاجة التجاري و العسكري و المساحة المائية المحيطة به.
Badishes Landesmuseum, Hannibal ad portas, THEISS, 2005, P39.

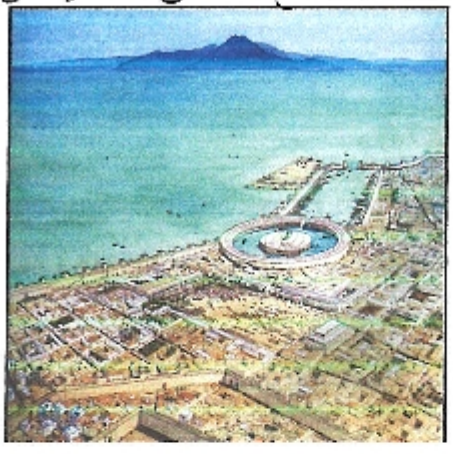

الشكل 05 : صورة جوية تمثل ميناء قرطاجة التجاري و العسكري.
Badishes Landesmuseum, Hannibal ad portas, THEISS, 2005, P89.

* هيبو: كلمة ليبية، وتذهب الأساطير أن ليبيا هو الاسم اليوناني لشمال إفريقيا كان في الأصل اسم زوجة المعبود "بوسيدون" إله البحر ووالدة أجينور ملك فينيقيا" (انظر محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، المرجع السابق، ص97)

1- مهران محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى والمغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص171.

2- سعيد دحمان، من هيبون بونة إلى غاية تأسيس قطب حصري، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، 2007، ص46.

3- إكصيل إصطيفان، تاريخ شمال إفريقيا، ترجمة محمد التازي سعود، الجزء الرابع، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة تاريخ المغرب الرباط، 2007، ص86.

4- تسركين يولي بيروكوفيتش، المرجع السابق، ص79- 80.

ثانيا: السفن التجارية:

ارتبط تاريخ الملاحة بصناعة السفن، فالسفن هي إحدى أقدم وسائل المواصلات التي ابتكرها الإنسان.[1]

وتعتبر السفن التجارية من أكثر الحلقات أهمية في سلسلة الدورة التجارية القرطاجية وكانت في بداياتها عبارة عن زوارق مكشوفة قليلة الارتفاع تكتسحها الأمواج العظيمة ولا تستطيع أن تحمل قدرا كبيرا من السلع و كانت هذه السفن تصنع من خشب الأرز و تدهن بالقار النباتي الذي لا يقوى على مغالبة الماء ثم قطعوا شوطا آخر في بناء السفن فكبر حجمها.[2]

ورغم توصل القرطاجيين إلى بناء سفن كبيرة ماخرة للمحيطات فإنهم لم يتخلوا عن سفنهم الأولى وهذا أدى إلى ظهور نوعين من السفن.

أ/ السفن الكبيرة:

كانت السفن الكبيرة تحتوي في داخلها على غرف لإقامة المسافرين وربما لاستجمام الطاقم ومن مميزاتها تصميمها بشكل يسهل فيه رمي جزء من الحمولة في البحر لتخفيف وزن السفينة في حالة تعرضها لعاصفة.[3]

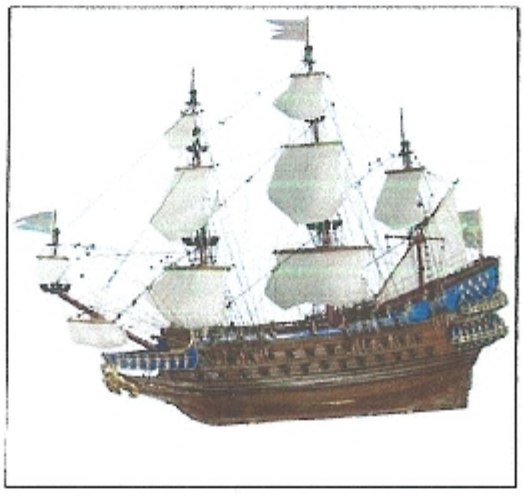

الشكل 06: صورة لسفينة قرطاجية تجارية
http://ships-history.blogspot.com

وكانت سفن التجارة أكثر سعة من القوارب التي كانت تستعمل في المعارك واللفظ الفينيقي الذي كان يطلق عليها هو كول أي مستديرة ويمكن أن تكون لها أحجام كبيرة جدا مثل سفن طرشيش التي ذكرتها التوراة والتي كانت تنقل المعادن الاسبانية إلى المشرق.[4]

ومن مميزات السفن التجارية الضخمة مواد بنائها فالمدرسة البحرية القرطاجية لا تهتم فقط بالتفوق البحري من خلال المناورات البحرية للسفن التجارية لكنها تعطي عناية كبيرة لطريقة بناء

1- منصوري خديجة، المرجع السابق، ص158.
2- مهران محمد بيومي، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم، المرجع السابق، ص270.
3- تسركين بولي بيروكوفيتش، المرجع السابق، ص82.
4- إكصيل إصطيفان، المرجع السابق، ص87.

السفن البحرية[1]، فقد كان اختيار الأخشاب شيء مهم في المنشآت البحرية فالصناع القرطاجيين على معرفة وافرة بمختلف أنواع الأخشاب بالإضافة إلى الثروة الغابية المضاعفة للحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وكانت مكانة الخشب في بناء السفن مكانة هامة غير قابلة للنقاش بل كان الخشب يعتبر بمكانة الأحجار الكريمة و الذهب وكانت أشجار الصنوبر والفلين من أكثر أنواع الأشجار استعمالا في صناعة السفن كما وقد أثبتت بعض الدراسات الأثرية لبقايا سفن قرطاجية على استعمال أنواع مختلفة من الأخشاب.[2]

كما استعملت المعادن حيث كانت قرطاج قد سيطرت على تجارة المعادن في البحر الأبيض المتوسط من حديد ونحاس وفضة وقصدير مستغلة أكبر مراكز الثروة في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط .

وهذه المعادن استخدمت في ورشات صناعة السفن حيث تستخدم في صناعة المسامير لتثبيت الألواح الخشبية والصفائح الحديدية لتصفيح قعر السفينة كما كانت تستعمل المعادن في تجسم أشكال لتزيين سطح السفينة[3].

هذا وتختلف السفن التجارية في شكلها عن السفن الحربية حيث أن الأولى كانت مستديرة وتظهر بمقدمة ومؤخرة مرتفعتين، وشكل المقدمة غالبا ما يشبه عنق رأس طير البجع ، وكانت السفن التجارية في أول الأمر شراعية[4] فالأشرعة من الخصائص المميزة للسفن التجارية الكبيرة، ويعتبر الشراع المربع الشكل من أكثر الأشرعة استعمالا في العصور القديمة[5].

و رغم استعمالهم للأشرعة غالبا ولكن لا تنسى حمل المجاديف لكي لا تتعطل السفن إذا وقع حادث أو تتوقف إذا هدأت الرياح هدوء تاما وخاضت السفن التجارية البحر مهتدية بالنجم القطبي . وما لم تكن هناك ضرورة ملزمة فإن السفن لم تكن تغامر في لجة البحر أثناء الفصول الزمنية القاسية بين الاعتداليين الخريفي والربيعي ولم تكن السرعة تتعدى مطلقا خمسة أميال في الساعة[6]

---

1 - Abdelhamid Barkaoui, Lamarine carthaginois, l'or du temps, Tunisie, 2003, P190.

2- M.Redde, Mare nostrum, l'infrastructure, le dispositif et l'histoire de la marine militaire sous l'empire romaine, ecole francaise de Rome, Paris, 1986, P09-15.

3- Gras. M, Rouillard, p. l'univere phénicien, Alhud, Paris, 1989, P246.

4- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في البحر الابيض المتوسط، المرجع السابق، ص55.

5- Casson. Lships and Seamans hip in the ancient world, princetan, London, 1971, P214-219.

6- إكصيل إصطيفان، المرجع السابق، ص87.

كما أن السفن التجارية القرطاجية الكبيرة كان يوجد بها قائدان لأنهم يؤمنون بنظرية الرجل الأكثر فعالية في البحار بحيث أن لا يكون بمفرده بدون معاون ينوب عنه[1].

و قد ساعدت بقايا السفينة اليونانية العائدة للقرن الثالث ق.م والتي عثر عليها عام 1971 قبالة سواحل صقلية في التعرف على تكوين السفن التجارية القرطاجية الكبيرة حيث بلغ طولها 25 متر وعرضها حوالي 4,5 متر عند خط العوم وقد صنعت من خشب الصنوبر والأرز وصفحت من الداخل بألواح من الرصاص ويتقوس صالبها بشكل عمودي تقريبا ليتحول إلى حاملة.

الشكل 07: نصب أثري يمثل جزء من سفينة حربية تجارية.
Badishes Landesmuseum, Hannibal ad portas, THEISS, 2005, P95.

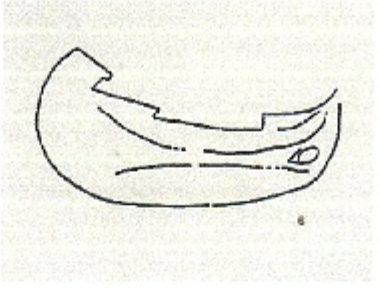

الشكل 08: مجسمات لسفن تجارية قرطاجية.
Badishes Landesmuseum, Hannibal ad portas, THEISS, 2005, P97.

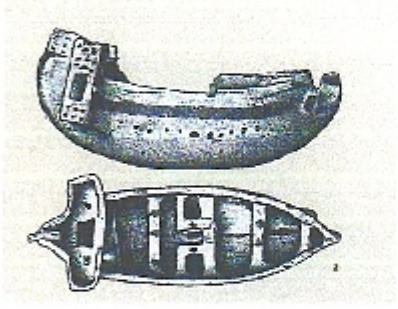

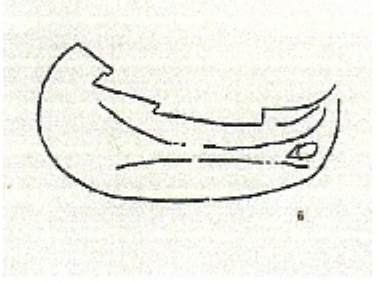

1- Abdelhamid Barkaoui, opcit, P177.

للمسافرين وتنصب أشرعتها على عارضة خاصة وكانت تحمل بالصابورة بعد فرش قعرها بورق الزيتون أو أوراق أشجار الفاكهة ولتخفيف أثر اصطدام الحجارة به.

كما كانت تنتهي السفن الكبرى بقمرة المراقب ويرتفع في وسطها صار عال يحمل شراعا مستطيلا في المقدمة وصار صغير عليه شراع صغير مستطيل لمساعدة الدفة وهذه الأخيرة هي عبارة عن مجاديف[1].

ب/ السفن الصغيرة (الأحصنة)

و هي نوع من السفن التجارية الصغير قليلة الاستعمال فهي تستعمل للتنقل في الموانئ القريبة من بعضها البعض أي التجارة البحرية الداخلية[2] و قد سميت كذلك لأن مؤخرتها ومقدمتها تزين برأس حصان، و الملفت هو أن هذا النوع من السفن كان ينفرد به في قرطاج التجار الصغار و الصيادين قد تحولت إلى يخوت تسلية استخدمها الملوك الأشورية[3].

الشكل 09: صورة لسفينة قرطاجية تجارية صغيرة (الأحصنة)
http://ships-history.blogspot.com

ثالثـاً/ الاحتكار:

تعد التجارة بالنسبة إلى قرطاجة مورد رزق رئيسي تنهل منه القوة التي أتاحت لها إنشاء إمبراطوريتها كما تعتبر بالنسبة للقرطاجيين وسيلة وغاية لذلك عملت كل جهدها لاحتكار التجارة لنفسها والتحكم في طرقها ومبادلاتها[4]، على أن نمو التجارة القرطاجية كان في نفس الحين عمل الدولة وعمل المبادلات والجهود الفردية[5]، حيث يسود الاعتقاد أن مصالح قرطاج كدولة ارتبطت بمصالح بعض العائلات النافذة اقتصاديا[6]، ولم يكن في الإمكان غير ذلك في مدينة يحكمها رجال يشتغلون بالتجارة[7].

1 - contenau G ; la civilisation phénicienne, paris, 1970. P234/ 235.
2 - foucher. l, les represemtation de baal hammon, « archeologie vivante » n°= 2, 1968-1969 P22.
3- تسركين يولي بروكوفينش، المرجع السابق، ص83.
4- ميادان مادلين هورس، المرجع السابق، ص91.
5- إكصيل إصطيفان، المرجع السابق، ص88
6- بورونية الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص241
7- إكصيل إصطيفان، المرجع السابق، ص88.

حيث اعتمدت الأرستقراطية القرطاجية على شبكة كثيفة من العلاقات الشخصية قامت بإنشائها مع بعض العائلات النافذة في المناطق التي كانت تتاجر معها[1].

وفق هذا كانت مصالحهم تتفق مع مصلحة خزينة الدولة التي كان تحصيل حقوق الجمارك واحد من أهم مداخيلها.

لقد كان للجمهورية سياسة تجارية يمكن تلخيصها فيما يلي:

تتميز المعلومات التي بحوزتنا حول هذا الجانب الهام من تاريخ قرطاج الاقتصادي (الاحتكار) بالندرة لذلك نجد أنفسنا ملزمين على توظيف واستقرار معلومات تقدمها مصادرنا على اختلاف أنواعها.

كانت قرطاجة تريد على الخصوص أن تحتفظ لنفسها في الغرب بالاستغلال الاحتكاري لمجال واسع فكان لابد أن تكون سيدة على الأسواق عند شعوب غير قادرة على أن تصنع بنفسها الأدوات التي تحتاج إليها، كما أنها تنقل المواد الأولية التي تنتجها أراضيها ، وهكذا كان بمستطاع هؤلاء المتاجرين أن يجددوا حسب هواهم شروط البيع والشراء ولا يخشون العودة بحمولتهم أو الرجوع بعد التفريغ وهم وسطاء لابد منهم بين المناطق التي تحت أيديهم[2] وكانت البحرية القرطاجية تسهر في الواقع على تأمين الحماية وويل للمتطاولين الذين يركبون رؤوسهم للوصول إلى السواحل الممنوعة[3] فلكي يؤسسوا ويحافظوا ويوسعوا هذه الاحتكارات فإن القرطاجيين كان عليهم أن يخوضوا المعارك وأن يقوموا ببعض التنازلات في ميادين أخرى[4]

و يعطينا استرابون صورة واضحة عن هذا الموضوع حيث يقول : لا يجب أن ننسى أن القرطاجيين من جهتهم كانوا يرسلون إلى أعماق البحر من غير رحمة ولا شفقة كل مركب غريب كانوا يلاقونه مبحرا في نواحيهم متجها إما إلى جزيرة سردينيا أو نحو أعمدة هرقل.[5]

فالفينيقيون من أهل قادس كانوا يخفون الرحلات التي يقومون بها شمال حتى جزر الكاستريد أي الجزر القصديرية التي يذهبون إليها لاستجلاب القصدير والرصاص وقد أراد بعض الرومانيين الاطلاع على سرهم فتقفوا إحدى سفنهم غير أن قائد هذه السفينة ارتمى بها في مهواة عمدا ثم

1- بورونية الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص241.
2- إكصيل إصطيفان، المرجع السابق، ص90.
3- ديكرية فرانسو، المرجع السابق، ص93.
4- إكصيل إصطيفان، المرجع السابق، ص90.
5- ديكرية فرانسو، المرجع السابق، ص90.

جاءت السفينة الرومانية فارتطمت فيها بدورها، واستطاع البطل القدسي النجاة من الغرق، فنال من الخزينة العامة ثمن البضائع التي سخرها أثناء رحلته.[1]

د/ العملة

تجدر الإشارة إلى أن التجارة الفينيقية كانت تتم عن طريق المقايضة. وعلى الرغم من أن اليونان قد بدأ في استخدام العملة في القرن السابع قبل الميلاد وأكبر الضن أن كريس يون (650-846 ق.م) ملك ليديا هو الذي استخدم حسب السبائك الذهبية ذات الوزن الواحد وطبع الصور عليها وقد أصبح استعمال العملة عاديا في نهاية القرن السادس قبل الميلاد[2] كما أن الفرس بدأو في استخدام العملة على أيام (دارا الأول) (522- 486 ق.م) عند نهاية القرن السادس، ورغم أن فينيقيا كانت وقت ذاك خاضعة للفرس غير أن دارا لم يحاول أن يضرب العملة باسمهم، وأما أقدم عملية شرقية فينيقية فقد ضربت في صور عند منتصف القرن الخامس قبل ثم تبعتها صيدا وأرواد وجبل في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد[3] هذا وقد قامت المدن الفينيقية الغربية بضرب عملتها متأخرة عن المدن الشرقية فهناك في المتحف البريطاني قطعة عليها رأس المعبودة" تانيت"* وعليها غطاء رأس بوني وعلى الوجه الآخر أسد وشجرة نخيل ونقش مكتوب بالبونية" رجال المعسكر" وتؤرخ هذه القطعة بمنتصف القرن الرابع قبل الميلاد[4]

يعتبر تأخر قرطاج عن ضرب العملة أمرا لافتا للانتباه خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار وفرة المعادن التي شكلت بالنسبة لبعض الخطوط التجارية على الأقل أحد ركائزها ويضاف إلى ذلك إعتماد الاقتصاد القرطاجي بالدرجة الأولى على النشاط التجاري وهو ما يفترض أن تكون قرطاج قوة سباقة لاعتماد العملة.[5]

1- Straban XVII, 1,1.

2- وارمنجتون، ب، هـ، المرجع السابق، ص463.

3- زايد عبد الحميد، الشرق الخالد، دون مكان النشر، القاهرة، 1996، ص330، 331.

* تانيت: إله الحب والجمال وتصل عبادتها إلى قمة الهرم الديني في قرطاج ويتقدمها الإله الرئيسي بعل حامون (انظر محمد الصغير غانم الملامح البارزة للفكر الديني، الوثني في شمال افريقيا، دار الهدى عين مليلة الجزائر، 2005، ص67.

4- سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة وزاد علية السيد يعقوب بكر، بيروت، 1986، ص136.

5- بورونية الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص239.

ولتفسير ظاهرة تأخر قرطاج في سك عملتها يمكن تقديم جملة من الأسباب نوجزها كالتالي:

- اعتمادهم المقايضة، حيث يحدثنا هيرو دوت عن التجارة القرطاجية على الساحل المراكشي فكتب حوالي عام 430ق.م يقول: أخبرنا القرطاجيون أيضا عن جزء من إفريقيا وسكانها وراء مضيق جبل طارق وعندما وصلوا هذا البلد أفرغوا بضائعهم ورتبوها على الشاطئ ثم عادوا إلى سفنهم، وأرسلوا إشارة بالدخان، وعندما يرى الوطنيون الدخان جاءوا إلى الشاطئ و وضعوا كمية من الذهب مقابل البضائع ثم قفلوا راجعين وعندئذ عاد القرطاجيين إلى الساحل مرة أخرى وفحصوا الذهب الذي تركه الوطنيون، فإذا رأوا أنه يعادل البضائع أخذوه ورحلوا بعيدا، وإلا عادوا إلى سفنهم وانتظروا أن يضيف الوطنيون الذهب الكافي لإرضائهم، فلم يكن القرطاجيون يقربون الذهب حتى يساوي قيمة البضائع التي أحضروها، كما أن الوطنيون ما كانوا يقربون البضائع حتى يتم نقل الذهب من مكانه.[1]

واستعمل القرطاجيون أسلوب المقايضة الخرساء في الرحلة التي قام بها حنون القرطاجي* إلى أجزاء من إفريقيا خاصة مستوطنة قرنه، و قد ذكر هذا الاسم في مصدر جغرافي إغريقي يعرف باسم – سليل اكس- حوالي 338 ق.م جاء فيه – في قرنه يرسي الفينيقيون (أي القرطاجون) سفنهم التجارية وينصبون خيامهم في الجزيرة وبعد أن يفرغوا بضائعهم ينقلونها إلى البر في قوالب صغيرة حيث يعيش الأثيوبيون الذين يتاجرون معهم، وفي مقابل بضائعهم يحصلون على جلود الغزلان والأسود .....الخ ويحضر الفينيقيون العطور والأحجار الكريمة المصرية والفخار والجرار الأثينية.[2]

الشكل 10: العملات القرطاجية.
CARTHAGE retrouvé, Abdelmajid Ennabli, Georges Fradier, Cérès Edition, Tunisie, 1995, P82

- تعود القرطاجيون ارتياد مناطق لا تعتمد العملة ولا

1- وارمنجتون، ب، هـ، المرجع السابق، ص460.

*حنون القرطاجي: هو ملك قرطاجي من أسرة ماغون قام برحلة حول الربوع الليبية التي تقع وراء أعمدة هرقل وعلقها حنون نفسه في قدس قرنوس انظر (محمد حسين فنطر، النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988، ص51).

2- بيومي محمد مهران، مصر والشرق الأدنى والمغرب القديم، المرجع السابق، ص228.

تعترف بها كأداة للتبادل وهو ما يدفعنا للقول أن قرطاج كانت تمارس مع هذه المناطق على الأقل تجارة بدائية ويمكن أن نذكر على سبيل المثال تجارة المعادن.[1]

- ولعل الدور الأساسي الذي لعبته السمسرة في تجارة المدن الفينيقية الإسبانية كان وراء تأخر ظهور النقود المعدنية. وقد أشار كارل ماركس إلى أن الشعوب التجارية في العصور القديمة (معتبرا القرطاجيين عن حق من بينها) لعبت دور النقود (الوسيط) في عملية التبادل التجاري[2]. وبالنسبة إلى المبادلات مع المناطق التي تعتمد العملة يجب التذكير أن قرطاج كانت بالأساس تلعب دور الوسيط يضاف إلى ذلك أن العاصمة البونية قد تبنت نظام تبادل يتنزل في الواقع بين العملة والمقايضة ويعرف بنظام وزن المعدن الثمين.[3]

كما أن التجار البونقيون إذا تعاملوا مع قوم متحضرين يستخدمون إما النسنك وهي قطع من الذهب والفضة على شكل سبائك توزن أو النقود الأجنبية بينما بدأ بضرب العملة قبل ذلك بقليل من صقلية الغربية لكن قطع النقد كانت ذات عيار فاسد في القرنين الثالث والثاني ، الأمر الذي لاشك أنه سبب المصاعب في التعامل والملاحظ أيضا أن عيارات الميزان كانت تفتقر إلى الدقة.[4]

وبالرغم من تأخر قرطاج في عملية ضرب العملة لكن استعمال العملة لم يكن غريبا عنها تماما ذلك أن الحفريات أثبتت وجود عملات إغريقية في شمال إفريقيا تعود إلى القرن الخامس قبل بداية ظهور ما يسمى بالعملات الصقلية البونية التي يعتبرها المختصون بمثابة البداية الحقيقية للعملات القرطاجية، كما أن المستوطنات البونية في غرب جزيرة صقلية قد قامت بضرب عملة خاصة بها قبل قرطاج نفسها وخاصة مستوطنتي موتي وبانورموس[5] .

و على أية حال فإن قرطاج إنما بدأت في إصدار عملتها في القرن الرابع قبل الميلاد، حيث تزايدت تجارتها مع الدول المتقدمة وحيث أصبح من الضروري أن تدفع للمرتزقة أجورهم نقدا نتيجة التغير في الوضع الاقتصادي.[6]

1- بورونية الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص239.
2- تسركين يولي بروكوفيتش، المرجع السابق، ص99.
3- بورونية الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص239.
4- إكصيل إسطيفان، المرجع السابق، ص103.
5- بورونية الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص239.
6- بيوسي محمد مهران، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم، المرجع السابق، ص419.

الشكل 11: العملات القرطاجية.
Badishes Landesmuseum, Hannibal ad portas, THEISS, 2005, P87.

الشكل 12: العملات القرطاجية.
Badishes Landesmuseum, Hannibal ad portas, THEISS, 2005, P86.

المبحث الثاني: أهم العلاقات التجارية القرطاجية والمواد المتبادلة.

أولا: مع شرق المتوسط.

أ/ مع الوطن الأم (صور):

منذ تأسيس قرطاج عام 814 ق.م اعتبرت نفسها جزءا من مدينة صور أو بعبارة أخرى تابعة لها وكانت كل عام ترسل عشر دخلها لصور، ولم يبدأ التاريخ الحقيقي لقرطاج إلا منذ القرن السادس (ق.م) عندما بدأت صور تضمحل وبقل شأنها تحت تأثير ضربات نبوخذ نصر* (605 – 562 ق.م) و قد حافظت قرطاجة على علاقاتها الجيدة مع صور حتى بعد تراجعها[1] فإذا كانت قرطاجة قد تحررت من التبعية السياسية بصور فإنها بقيت مرتبطة بها بروابط الدين وأيضا بروابط التجارة دون شك [2]. و كان لقرطاجة وصور نفس المصالح البونية و روما التي أبرمت سنة 348 ق.م والتي أقرت منع الرومان من تأسيس المدن على امتداد الساحل الإفريقي إلى حد مسيتيا بإسبانيا و المتاجرة في سردينيا وإفريقيا ماعدا قرطاجة ، وعلاوة عن هذا تثبت المعاهدة استقلال قرطاجة عن الحكم المركزي في صور وسيطرتها على مجمل المستوطنات الفينيقية بهذه المنطقة.[3]

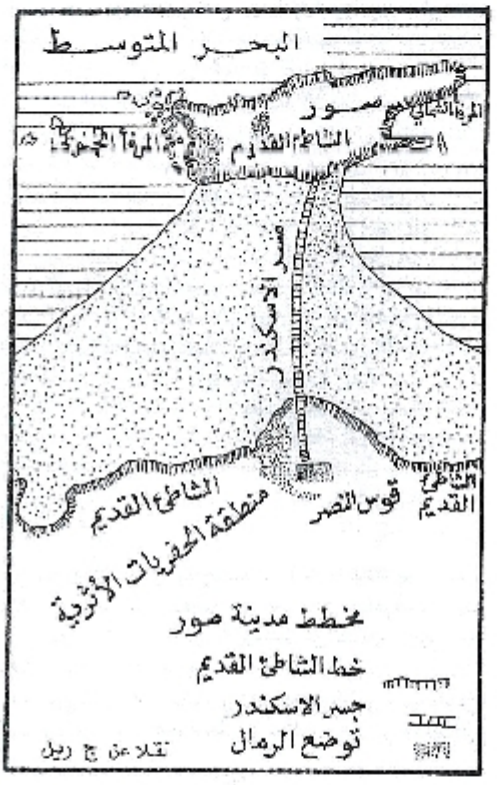

الشكل 13: محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص25.

كما نستخلص من هذه المعاهدة انعدام التناقض بين سيطرة قرطاجة على المنطقة الغربية للبحر المتوسط وتواصل علاقتها بصور فلم تحقق قرطاجة توسعها على حساب مصالح مدينتها

* نبوخذ نصر: ملك أشوري حكم في الفترة الممتدة ما بين (605 ق.م إلى 562ق.م) سقطت أورشليم (القدس) في عام 586 ق.م على يده فلم يكتفي العاهل البابلي بنهب المدينة وإشعال النيران فيها وإحراق القصر الملكي وإنما قام بإبعاد الطبقة الحاكمة في اليهودية والعديد من الرجال البارزين في أورشليم وبلاد يهوذا لكن نبوخذ نصر لم يفعل كما فعل الآشوريون بجلب سكان جدة إلى يهوذا.

1- إكصيل إصطيفان، المرجع السابق، ص279.

2- الفرجاوي أحمد، المرجع السابق، ص52.

3- Charbes C ipicard J, G, opcit, P46.

الأم فقد استمر التجار الصوريون في نشاطهم لغرب البحر المتوسط، إذ كان التوسع القرطاجي متكاملا ومتمما للتوسع الصوري[1]، وفي العهد الأول لوجود قرطاجة كانت صور تزودها بقيم كبيرة من المصنوعات التي كانت تحتاج إليها، ولقد أورد نيتيوس ليفيوس شهادات تخص التبادل التجاري بين صور وقرطاجة، فكتبت حول فرار حنبعل وعبوره جزر قرقنة أين أرست سفن تجارية كثيرة محملة بالسلع.

ب/ مع مصر:

لقد اتخذ الفينيقيون لأنفسهم في منف* حيا خاصا بهم سمي معسكر الصوريين كما أقاموا معبدا هناك.

هذا وتحدثنا المصادر كثيرا عن الدور القيادي النشط في المشروعات التجارية الكبرى، وطبقا لرواية هيرودوت فإن الفرعون المصري " نيخاو الثاني" (210 -595 ق.م) قد كلف الملاحين الفينيقيين بالطواف حول إفريقيا ويكاد يكون من المؤكد أن هذه السفن قامت برحلتها حيث قضت في رحلتها ثلاث سنوات دارت فيها حول شواطئ إفريقيا ، ثم عادت من مضيق جبل طارق محملة بجميع خيرات إفريقيا التي حصلت عليها من الموانئ التي مرت بها السفن.[2]

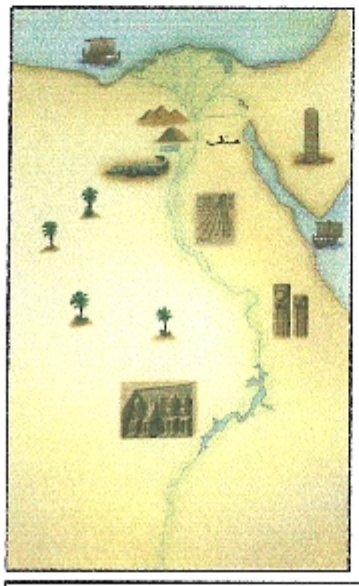

الشكل 14: خريطة مصر القديمة
http://www.emmanuelle-etienne.com

لا تتعرض المصادر الأدبية البتة إلى المبادلات بين قرطاج و مصر لذلك تعتمد المعلومات التي تستوردها على ما تقدمه التقنيات الأثرية من نتائج حيث عثر بغزارة على اللقى المصرية أو المتأثرة بالفن المصري داخل الأثاث الجنائزي القرطاجي، ويتعلق الأمر غالبا بلقى ذات أحجام

1- الفرجاوي أحمد، المرجع السابق، ص52.
* منف: العاصمة المصرية القديمة (انظر معجم البلدان الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم لمحمد بيومي مهران، ص85).
2- مهران محمد بيومي، مرجع سابق، ص175.

صغيرة نذكر من بينها العجلان والتمائم[1] ويحسّن الاعتقاد بأن علاقات مباشرة قد حصلت بين قرطاجة ومصر بعد تأسيس مدينة الإسكندرية إذ عثر في تونس على بعض نقود البطالمة.[2]

ج/ مع بلاد الإغريق:

لقد سعى الفينيقيون للنزول في بلاد اليونان، وكثر تردد تجارهم عليها، بل إن بلاد اليونان فيما يبدوا لم تخل من مستعمرات فينيقية وآية ذلك انتشار الأسماء السامية في بلاد اليونان.[3] ويضل تحديد مسار هذا الخط التجاري أمر غير هين حيث أن المؤرخين يرجحون باعتماد حملة من المعطيات أن يكون القرطاجيون هم الذين تولوا السيطرة على هذه المبادلات أو على الأقل أن يكونوا قد استأثروا بنصيب مهم منها، ومن ذلك مثلا ما تمت ملاحظته من كثافة اللقى الفخارية القرطاجية على مستوى غرب صقلية والجزء الخاضع لقرطاج ويعد الفخار الآتي كي * أوسع أنواع الفخار الإغريقي الشرقي حضورا في المتوسط عامة، و قد ربطت العاصمة البونية علاقات تجارية وطيدة مع المدنيين المنتخبين لهذين الصنفين من الفخار، وقد كشفت الحفريات عن حضور هذا الفخار بمختلف أصنافه على أرض العاصمة البونية مع كثافة واضحة للنوعية الأخيرة أي الفخار الكورنثي.[4]

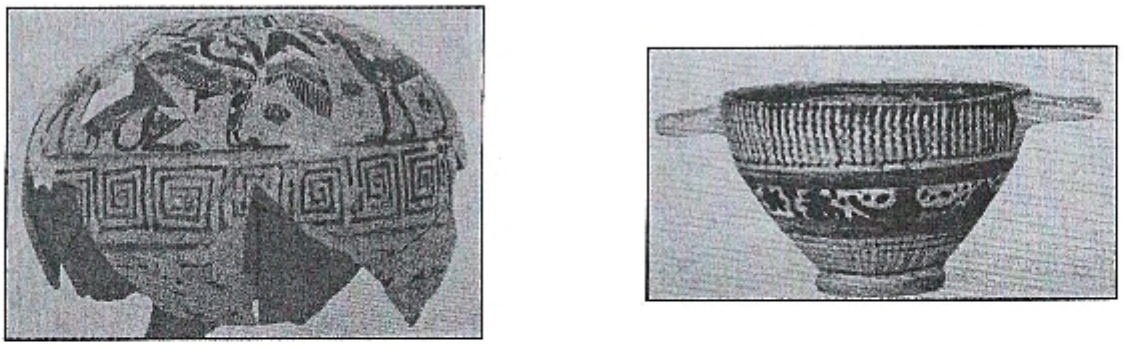

الشكل 15: صور أواني من الفخار الأتيكي
http://younis71.maktoobblog.com

1- بورونية محمد الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص228.
2- قزال إصطيفان، المرجع السابق، ص129.
3- ميادان مادلين هورس، المرجع السابق ص179.
* الفخار الأتيكي: ينقسم إلى نوعين، الفخار البروتوكانثي – الكرنثي انظر الشكلين رقم (13).
4- بورونية محمد الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص225، 226 .

ثانيا: مع غرب المتوسط

أ/ إسبانيا:

ترجع بداية الاستعمار الفينيقي في اسبانيا حسب التقليد القديم إلى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد وتعتبر مستعمرة قادس أقدم المستوطنات الفينيقية وأهمها في تلك البلاد.[1] ولم تصل إلى ترتيسيا المصنوعات الواردة من قادس وغيرها من المدن الفينيقية جنوبي إسبانيا وحسب بل وتلك الواردة من الشرق فكان العديد من سلع ترتيسيا تصل إلى فينيقيا.[2] ولم تصل إلى ترتيسيا المصنوعات الواردة من قادس و غيرها من المدن الفينيقية جنوبي اسبانيا وحسب بل وتلك الواردة من الشرق وكان العديد من سلع ترتيسيا شرقي المنشأ يصلها من فينيقيا أو قبرص.[3]

و لم تنقطع التجارة الفينيقية مع اسبانيا الجنوبية و الجنوبية الشرقية من المصنوعات الفينيقية بينها خزف أحمر.[4]

وهكذا فإن الفينيقيين كانوا يبيعون الاسبان مصنوعاتهم والمنتوجات الشرق متوسطية وكانوا يشترون في ترتيسيا المعادن بشكل أساسي ولا سيما الفضة والقصدير وكذلك الذهب وبعد تفويض الدولة الترتيسية وإحكام السيطرة على قادس حاول القرطاجيون وضع يدهم على التجارة الأطلسية ولعل هذا السبب كان وراء بعثه هميكون التي انطلقت من قرطاجة إلى المحيط اتجاه الشمال.[5]

الشمال.[5]

الشكل 16: موقع قادس على الخريطة
http://ar.wikipedia.org

1- تسركين باركوفيتش، المرجع السابق، ص76.

2- Blazquez, J.m, algunas relationes de la peninsula come el rediterrano alfinal dc la edad de bronce, 1970, P749-750.

3- Bonser, g, les colonies agricoles pré- Oman de la vallée du betis, 1899, P60, 62.

4- Blazquez .J.m, opcit, P750.

5- Plan. II, P169.

و ابتداءًا من القرن الخامس ق.م بدأت تظهر على ساحل بلاد ترشيس* الشرقية أولى دلائل الاستيراد والتأثير القادمي، كانت عبارة عن تماثيل صغيرة من الطين النضج[1] وفي القرنين الرابع والثالث ق.م اتسع انتشار المباخر القرطاجية التي لها شكل رأس امرأة[2] وإن منطقة نفوذ التجار القرطاجيين انبسطت حول الساحل الشرقي لشبه جزيرة أيبيرية و امتدت على شكل ألسنة في عمق شبه الجزيرة وصولا إلى البلاد التي تعرف اليوم بالبرتغال و كان أهالي الباليار يتلقون من القرطاجيين الملابس والخمر والنساء و مقابل ذلك كانوا يعطونهم العبيد، حيث كانوا أهل الباليار يعطون للقرطاجيين أربعة من الرجال مقابل امرأة واحدة[3].

ب/ جزر القصدير*

كان العصر القرطاجي آخر مرحلة في تجارة القصدير على طول الساحل و هي تجارة ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ مع جنوب غرب بريطانيا، و الذي كان واحدا من أهم مصادرها. -ومع ذلك فليس هناك من دليل على أن هناك فينيقيا واحدا وصل إلى بريطانيا، كما لم يعثر هناك- أو حتى بريطاني على أي أثر فينيقي، وعلى أية حال إن كان الفينيقيون قد حصلوا على قصدير من بريطانيا، فأكبر الظن أن ذلك إنما تم عن طريق القبائل في بريطانيا ومع ذلك فهناك احتمال بأن أغلب قصدير بريطانيا المصدر، إنما كان ينقل عبر غالة إلى وادي الرون والبحر المتوسط وأن القرطاجيين إنما حصلوا على احتياجاتهم منه من شمال اسبانيا.[4]

وكان القرطاجيون يحصلون على المواد الخام للقصدير من مقاطعة كرونيل في جنوب إنجلترا وجزر كاسيتريدس التي كانت تحتوي على مادة القصدير.[5]

---

* ترشيش: يذهب بعض الباحثين إلى أنها في سردينيا ويذهب البعض الأخر إلى أنها "ترتيسيوس" في جنوب اسبانيا على مقربة من جبل طارق، وكانت كل البلاد الاسبانية تعرف عند الفينيقيين باسم بلاد ترشيش وهي عند اليونان "ترتيسيوس" وطبقا لما جاء في التوراة فإن سفن سليمان عليه السلام وسفن حيرام ملك صور كانت تأتي مرة كل ثلاث سنوات إلى ترشيش وإن اسم ترشيش الذي تصادفه في أسفار التوراة وفي الكتابات الأشورية إنما هو اسم فينيقي في أكبر الظن، بمعنى المنجم أو مكان الصهر، وقد اتسعت تسمية ترشيش بسبب بعد موقعها معنى غامضا، وصارت تعني المغرب الأقصى أو أبعد البلاد الذي بلغتها التجارة الفينيقية (انظر قاموس الكتاب المقدس 212- 215.

1- تسركين يولي بروكوفيتش، المرجع السابق، ص90.

2- Astruc.n, Echange entre carthag et l'Espagne, revue des études anciennes, tlxiv, Paris, 1962, p53.

3- Plan. XIX, P63.

* جزر القصدير: أطلق هذا الاسم على ما تعرف اليوم بالجزر البريطانية وقد سميت بهذا الاسم لتوفر معدن القصدير بها بكثرة ونظرا لكثرة الطلب عليه فقد كان الفينيقيون يأتون به من هناك(انظر البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص39).

4- مهران محمد بيومي، المدن الفينيقية تاريخ لبنان القديم، المرجع السابق، ص415.

5- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، المرجع السابق، ص108.

وبذلك استطاعت السفن القرطاجية القيام برحلاتها على أكمل وجه واستطاعوا الوصول إلى منطقة غرب المتوسط وأنشئوا المحطات والمراكز التجارية على طول شواطئه الجنوبية والشمالية على حد سواء[1]، وبذلك كادت منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط أن تصبح بحيرة فينيقية خاصة في العصر القرطاجي.[2]

ج/ مع الأتروسكيين

بين القرن العاشر على الأبعد والقرن السابع قبل الميلاد على الأقرب سيطرة الأتروسك على رقعة من الأرض تقع بين البحر التيريني و نهري الأرنو و التيبر و على هذه الرقعة الضيقة من الأرض أنشأ الأتروسك* عددا من المدن أقدمها عهدا وأنشطها تلك المدائن إلى الجنوب على شواطئ البحر المتوسط بينما التي قامت في داخل مقاطعة أتروريا الشمالية لم يبرز لها إلا بعد ذلك، إلا أن هذا الشعب تفوق على باقي الشعوب التي أهلت بها إيطاليا وذلك بما كان له من النشاط في حقل التعدين وتصنيع الحديد الأمر الذي زاد في طاقته في تأمين مزيدا من الموارد التي كانت بحاجة إليها، و توفير خامات الحديد و النحاس التي تفيض بها مقاطعة أتروريا التي رفلت من موارد الأرض، و ما تحت الأرض بما لم تستغله مقاطعة أخرى من المقاطعات الايطالية و ما انصرفت إحداها عبر التاريخ القديم لاستغلال الثروة المعدنية الكامنة فيها، كانصراف أتروريا لها وعلى مثل هذا النطاق الواسع فتحت هذه الصناعة الباب على مصرعيه أمام التجارة الخارجية.[3] وقد أبرمت معاهدات لاقتسام مناطق النفوذ بين الأتروسكيين و القرطاجيين[4]، ثم فرضوا سيادتهم على التجار الإغريق و الرومان.[5]

و قد ربطت علاقات تجارية مباشرة مع الأتروسكين منذ القرن السابع قبل الميلاد كما تدل على ذلك اللقى الفخارية المعروفة باسم البوكيير* الرفيع ومن نهاية القرن السابع عشر إلى

1- تسركين يولي باركوفيتش، المرجع السابق، ص25.
2- كونتو، ج، المرجع السابق، ص27.
* الأتروسكيين: اسم شعب كان يطلق على نفسه زاسنا وبهذا الاسم عرفه الإغريق والايطاليين فالكلمة من الجذر تورس وهذا الجذر يبرز في الكلمات tyrrhenai أو yrsenoi؛ وهذه الكلمة لا تزال حية في الاصطلاح الجغرافي المعروف بالبحر التيريني، انظر: أندريه إيمار، تاريخ الحضارات العام روما و إمبراطوريتها، منشورات عويدات بيروت، 1964، ص25.
3- أندريه إيمار ، أبواتيه جانيين، المرجع السابق، ص26.
4- عصفور محمد أبو المحاسن، المرجع السابق، ص74.
5- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، ص108.
* البوكيير: نوع من الأواني الخزفية التي وجدت في قرطاجة من أصول أتروسكية.

و قد ربطت علاقات تجارية مباشرة مع الأتروسكين منذ القرن السابع قبل الميلاد كما تدل على ذلك اللقى الفخارية المعروفة باسم البوكيير * الرفيع ومن نهاية القرن السابع عشر إلى منتصف القرن السادس استطاعت المراكز الأتروسيكية خلال هذه الفترة منافسة المراكز الفينيقية والإغريقية تجاريا وقد تميزت المرحلة الأولى بانتشار واسع للفخار والأتروسكي في صقلية وقرطاج وباقي المدن الفينيقية ويبدوا أن الأتروسيكيين قد سعوا إلى ربط علاقات اقتصادية جيدة مع قرطاج أولا وهذا كان قبل أن تقم قرطاج حتى هذا التاريخ بتزعم المدن الفينيقية في غرب البحر المتوسط.[1]

وتمتد الفترة الثانية من أواسط القرن السادس إلى بداية القرن الخامس ينتهي هذا التوازن الذي نستخلص أبرز معالمه بظهور الصراع من أجل السيطرة على الخطوط التجارية خاصة مع بروز قرطاج كقوة حامية لمصالح فينيقي الغرب وسعيها إلى إدخال جزء من صقلية تحت سيطرتها وأمام تزايد الخطر الإغريقي تتخذ العلاقات بين الأتروسكيين و القرطاجيين بعدا سياسيا.[2]

وقد لفت انتباه الباحثين إلى أن أواني الشراب لا تمثل سوى نسبة ضعيفة من الخزف مقارنة بمنطقة غاليا حيث تصل هذه النسبة إلى 96% و قادت هذه الملاحظة إلى القول بأن البونيين كانوا لا يستوردون الخمور الأتروسكية على نقيض الزيوت المعطرة التي لم تكن تلقى رواجا[3].

الشكل 17: خريطة تمثل موقع الأتروسكيين في شبه الجزيرة الإيطالية.
http://www.nbbmuseum.be

* البوكيير: نوع من الأواني الخزفية التي وجدت في قرطاجة من أصول أتروسكية.

1- بورونية محمد الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص230.

2- Morelg.p, in actes de III[ème] cagné des études phéniciennes et punique. Tunis, 1995, P272.

3- بورونيه محمد الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص231.

ثالثا: مع الشمال الشرقي للمتوسط.

أ/ مع سردينيا

لعبت الجزيرة دون شك دورا بارزا في دورة المبادلات المتوسطية ولئن كان هذا الحكم العام يحظى باجتماع المهتمين بتاريخ النشاط التجاري الفينيقي والقرطاجي فإنه يظل على الرغم من ذلك بحاجة إلى تسليط مزيد من الضوء عليه حتى نفهم خصوصية هذا الدور التي ترتبط بموقع الجزيرة من جهة وبما أملته الإستراتيجية الاقتصادية القرطاجية من إجراءات حيال سردينيا بالذات من جهة ثانية، وما دمنا بصدد الحديث عن أبعاد سياسة قرطاج الاقتصادية بجزيرة سردينيا فمن الطبيعي الوقوف طويلا عند هذه المعلومات.[1]

فقد تمكنت قرطاجة أن تمد شبكة مراكزها التجارية في سيردينيا كلها على خلاف ما كان الوضع في صقلية واستفادت من حق التجارة معها وأجبرت الآخرين على احترام هذا الحق، وانتشرت فيها مراكز تجارية عديدة وبخاصة على طول الساحل الجنوبي الغربي مع مرافئها أو في مواقع لها صفات مميزة جدا كانت مواطن استقرار فينيقية.[2]

الشكل 18: موقع جزيرة سردينيا
http://canadacheeseman.wordpress.com

حيث تشير المصادر التاريخية إلى أن القرطاجيين بعد استيلائهم على الجزيرة قاموا بقطع كل الأشجار المثمرة ومنعوا السكان المحليين من إعادة غرسها وقد ساد الاعتقاد بأن العاصمة البونية أقدمت على قطع الأشجار المثمرة في جزيرة سردينيا للقضاء منافسة الجزيرة لإنتاج الزيوت، والخمور القرطاجية.[3]

أما الحبوب المحصورة بالمنطقة الليبية وسردينيا فإن اقتطاعات الدولة فيها كانت تضيق كثيرا من جهود تجار الحبوب، كما أن تمليح الأسماك التي تجهز في محطات الصيد بالجزيرة كانت مدعاة لتجارة مهمة.[1]

1- بورونيه محمد الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع نفسه، ص22.
2- توكريه فرانسواء المرجع السابق، ص94.
3- بورونيه محمد الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص22

ويبدو أن قرطاج وفقت في أن تجعل من سردينيا منطقة ثرية تنتج كميات هامة من الحبوب، وتشدد مختلف المصادر على خصوبة الجزيرة ودورها على امتداد الفترة الفينيقية، حيث استخدمت قرطاج إنتاج سردينيا من الحبوب لخدمة مصالحها، وقد اعتمدت المبادلات مواد كثيرة أهمها الزيت و الفخار الرفيع[1] كما كانوا يأخذون العبيد من سردينيا على أن هذه البضاعة كان يتم الحصول عليها عن طريق القرصنة بثمن أبخس من التعامل السلمي والمواد اللازمة للصناعة لابد كانت تحتل مجالا واسعا.[2]

ب/ مع صقلية:

كانت جزيرة صقلية في طليعة المواقع الإستراتيجية التي لفتت انتباه الشعوب الشرقية، فتدفق إليها التجار الفينيقيون والإغريق في هجرات متتالية واستقروا على كامل سواحلها الشرقية والغربية، ثم دفعوا بالسكان المحليين إلى المناطق الداخلية[3] وحسب توكيد يدس* 6 " فإن الفينيقيين كانوا قد احتلوا مراكز متقدمة في البحر كافة أرجاء جزيرة صقلية ولكن مجيء الإغريق فرض عليهم الانسحاب إلى غربي الجزيرة في كل من موتيا، وسو ليس، وبانورموس لأن المسافة من هناك إلى قرطاجة تكون أقصر مما هي عليه في الجزء الشرقي[4] وكذلك السيطرة على المضيق الذي يربط بين حوضي البحر المتوسط الشرقي والغربي[5] ولعبت الجزيرة دورا مهما في المبادلات التجارية اليونية بصورة عامة ويقيم تواتر التدخلات العسكرية القرطاجية بالجزيرة الدليل على وجاهة هذا الحكم.[6]

ففي صقلية التي كان الإستطان الفينيقي قد تم فيها لم يأت القرطاجيون للاستقرار إلا في جزء صغير من الجزيرة ورغم الصعوبات التي لاقوها في توسعهم فإن القرطاجيين أجبروا على

1- بورونيه محمد الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص223.
2- إكصيل إصطيفان، المرجع السابق، ص108.
3- Thucydide, VI, 2.6
* توكيديتس: هو مؤرخ يوناني عاش في الفترة الممتدة ما بين (460- 399 ق.م) في أثينا، شارك كقائد عسكري في إدارة بعض المعارف، أبرز كتاباته كانت عن حرب "البلوبونيز" التي كتب عنها باهتمام كبير، مما جعله يحظى بتقدير من خلال كتاباته لما كتب المؤرخ "توكيديتس" عن حرب صقلية والتي من بين أحداثها تراجع الحملة القرطاجية على صقلية عام 480ق.م، وعلى الرغم من قلة المعلومات الواردة في كتابات توكيديتس فإنه يعد مصدرا من المصادر التي يمكن العودة إليها للاستفادة من بعض المعلومات خاصة الحضور الفينيقي اليوني في غرب المتوسط (انظر رسالة دكتوراه لعبد المالك سلاطنية، المرجع السابق، ص17).
4- Gsell. s, histair ancienne de l'Afrique, Tome I, P409.
5- غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، المرجع السابق، ص85.
6- بورونية الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص217.

إقامة علاقات من جزء من الجزيرة الذي لم يستطيعوا احتلاله[1] وتستمد جزيرة صقلية أهميتها في الواقع من مجموعة عوامل أهما:

الموقع الممتاز: حيث تتوسط صقلية حوض البحر الأبيض المتوسط وتوجد على مسافة وسطى بين شرق وغرب المتوسط وهو ما أهلها للتحكم في خطوط المبادلات التجارية التي تخترق هذا البحر من جهة أخرى لا تفصلها عن شمال إفريقيا سوى مسافة صغيرة كما اكتسب الحضور ألبوني في صقلية طابعا متميزا ينبع من هذا التعايش بين العنصرين الإغريقي والسامي، ويتمثل العامل الثالث في السياسة القرطاجية المتبعة من قبل الإدارة القرطاجية التي لم تسع إلى إخضاع الجزء الغربي.[2]

حيث اتخذها القرطاجيون محطة ينتفعون بها في أسفارهم الخطيرة إلى أعمدة هرقل*، ونزلوا خاصة في " بانورموس " أي بارمو و سيولينوس و موتيا وهذه المدن الصقلية الثلاثة اختيرت أماكنها بعناية بالغة و كانت موتيا من أهمها جميعا حيث كانت القاعدة الأساسية التي انطلقت منها قرطاج لمباشرة حروبها [3].

ومن المدن الصقلية التي كانت لها أكثر العلاقات بالجنوب الغربي للجزيرة كانت سيلنونة قبالة إفريقيا وهذه كانت في القرن السادس وبداية الخامس ق.م، واسعة الثروة وكانت تبيع الكثير من الخمر و الزيت للقرطاجيين .[4]

و بالتأمل في ما ورد لدى ديودروس الصقلي يعتقد أن المبادلات بين صقلية وقرطاج اعتمدت بالدرجة الأولى على تبادل المواد الغذائية و النسيج إذ يشير ديودروس الصقلي إلى أن سبب الذي بلغته سيلي نوت يرتبط بتجارتها مع قرطاج و لم تقتصر مبادلات قرطاج على غرب الجزيرة بل مست دون شك أيضا شرقها إذ تشير المصادر إلى تجار يونيين قطنوا مدينة سرقوسة* لذلك لا يستبعد أن يكون جزءا من الفخار الكورنثي قد بلغ أرض العاصمة البونية عبر هذه المدينة[5].

1- دوكري فرانسو، المرجع السابق، ص93.

2 بورونية محمد الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق، ص218.

* أعمدة هرقل، (أعمدة هيراكس) وهما الرأسان الصخريان عند مضيق جبل طارق (أنظر قاموس الكتاب المقدس 1 / 316).

3 مهران محمد بسيوني: مصر الشرق الأدنى والمغرب القديم، المرجع السابق، ص127.

4 قزال إصطيفان، تاريخ شمال إفريقيا القديم، المرجع السابق، ص119.

* سرقوسة: هي مدينة أسسها الكورنثيون سنة 733 ق.م (انظر ديودروس الصقلي).

5 بورونية محمد الشاذلي، محمد الطاهر، المرجع السابق ، ص218.

و نقرأ عند ديودور أن عددا كبيرا من الأغنياء القرطاجيين كانوا مقيمين بمدينة سلنونة التي كان مبناؤها يأوي سفنا بونيتية مشحونة بالبضائع، وقد عثر على كنز من القرن الخامس مغطى قرب بنزرت يتكون على الخصوص من قطع فضية ومعها نقود لبعض المدن الإغريقية هذا ولم تبرهن الاكتشافات الأثرية في صقلية عن المستحلبات القرطاجية.[1]

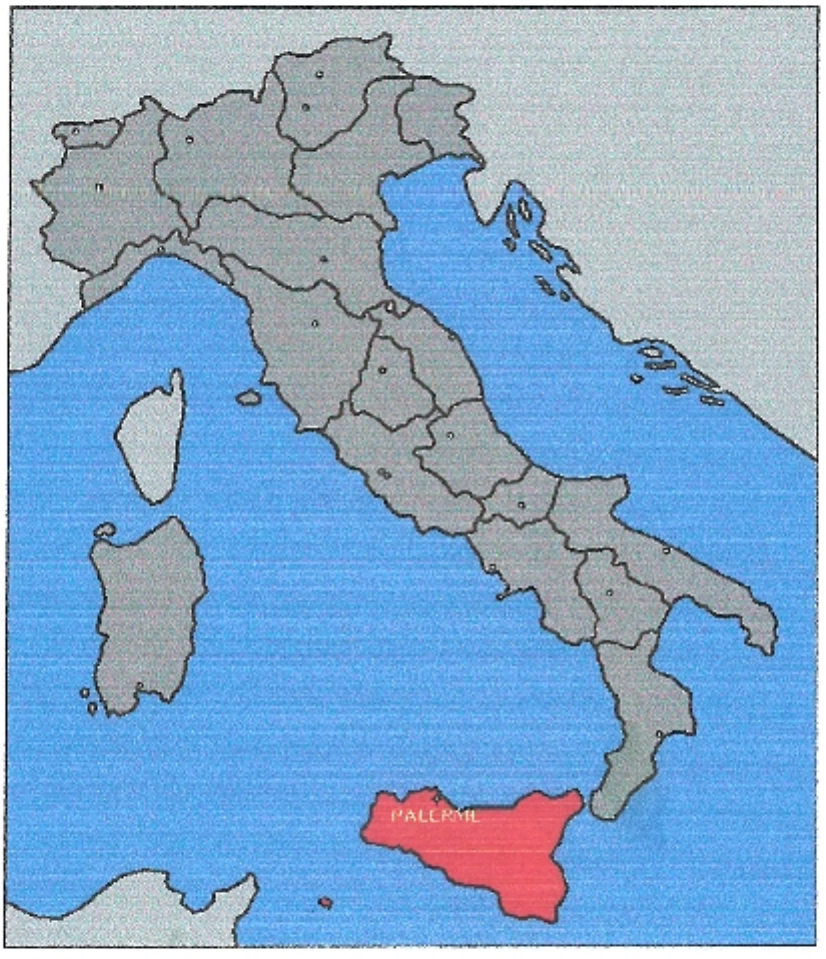

الشكل 19 : موقع جزيرة صقلية
http://www.luventicus.org

1 قزال إصطيفان ، تاريخ شمال إفريقيا القديم ، المرجع السابق، ص119.

الفصل الثـــالث

دور التجارة القرطاجية في صراعاتها الخارجية

الفصل الثـالث : دور التجارة القرطاجية في صراعاتها الخارجية.

المبحث الأول : الصراع القرطاجي الإغريقي.

أ) أسباب الصراع:

بعد أن أنشأ الفينيقيون مدينة قرطاجة سعوا إلى توسيع نفوذهم، فمدو سيطرتهم أولا على كامل الشمال الإفريقي، ثم استولوا على جزر سردينيا و كورسيكا، و جزر البليار و شبه جزيرة أيبيريا، و جزء آخر من أراضي غالية (فرنسا)[1] و مع بداية القرن الثامن قبل الميلاد بدأ الوجود اليوناني يتسرب إلى الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، و على الرغم من أنه بدأ في الجنوب الإيطالي إلا أنه لم يلبث أن امتد غربا إلى جزيرة صقلية، حيث كانت المراكز التجارية الفينيقية على الساحل الجنوبي الشرقي للجزيرة و لأن الوجود الإغريقي جاء بكثافة و على هيئة مجموعات استيطانية، فقد انسحب الفينيقيون أو على الأصح طردوا من مراكزهم على السواحل الجنوبية و الشرقية متجهين نحو الغرب و الشمال الغربي[2] ذلك أن الإغريق كانوا يستولون على أفضل الموانئ و سرعان ما ينتشرون إلى الداخل مسيطرين على أخصب السهول، و أفضل الأراضي الزراعية، بعد طرد سكانها المحليين، يساعدهم في ذلك تفوقهم من حيث التسلح و الكفاءة القتالية، و من يبقى من هؤلاء السكان يتحول إلى عبيد للقادمين الجدد، و بهذا نجد أن الاستعمار الإغريقي كان استعمارا استيطانيا بمعنى الكلمة، و لذلك لم يقاوم الفينيقيين هذه الموجات في بادئ الأمر و انسحبوا من أمامها، مفسحين لهم المجال لتأسيس مستوطناتهم.[3]

و أغلب الظن أن ذلك يعود لأسباب عديدة منها : قلة عدد الفينيقيين في المنطقة و طبيعتهم المسالمة، و ليس من المستبعد أن يكون الفينيقيون قد رحبوا بالإغريق في البداية، حيث اتسمت العلاقة بين الطرفين بالود ة السلام فترة من الزمن في بادئ الأمر، على الرغم من كثافة الهجرات الإغريقية، و لكن ما إن لبث الإغريق أقدامهم، و وطدوا وجودهم في الجزيرة، حتى بدأوا يعملون على القضاء على الوجود الفينيقي فيها بشكل خاص، و يتوقون إلى بسط سيطرتهم على غرب البحر المتوسط بشكل عام، من خلال السيطرة عل الطرق التجارية، و الوصول إلى شبه جزيرة أيبيريا عن طريق سردينيا، تلك المنطقة التي كانت تمثل مركز الثراء للعالم الشرقي بشكل عام، إذ

1- جوليان شارل اندري، المرجع السابق، ص 122.

2 - Thucydides, VI. P2

3- البركي مفتاح محمد سعيد، المرجع السابق، ص 123.

أنها تحتوي على أهم المعادن، كالذهب و الفضة، و القصدير و النحاس و هذا ما لم يسمح به الفينيقيون تحت راية عاصمتهم قرطاجة و من هنا بدأ الاحتكاك يظهر بين الجانبين، و بدأت بوادر الصراع تلوح في الأفق، حيث أخذت العلاقات تنحدر نحو الأسوأ و تتجه نحو الحرب مع بداية القرن السادس قبل الميلاد[1]. و في ضوء تضارب هذه المصالح بدأ الفريقان يسيران نحو الصدام المباشر، منتظرين الفرصة السانحة، لذلك، فقد كان الاتجاه الإغريقي نحو الغرب و العمل على تأسيس المستوطنات في صقلية و شمال إفريقيا باعثا على التحرك الفينيقي لإيقاف هذا التغلغل في منطقة يعتبرونها منطقة نفوذ لهم. حتى لو ترتب على ذلك استخدام القوة المسلحة[2]. وقد جاءت هذه الفرصة عندما حاول أحد المغامرين يدعى "فنناتالوس"، إلا أنه هزم من قبل الفينيقيين في الجزيرة بدع من القرطاجيين، و قتل و طرد أتباعه و كان ذلك عام 580 ق.م تقريبا[3] و كان ذلك أول صدام مسلح مباشر يقع بين الطرفين أوردته لنا المصادر التاريخية، أعقته الرغم من أن شرارة الصراع الأولى كانت بين السكان المحليين و الإغريق إلا أنها هي التي أشعلت فتيل الأزمة، و كانت فرصة اغتنمها الفريقان لتحقيق مصالحهم، فالإغريق كانوا يسعون إلى إيجاد مستوطنات دائمة في جميع أنحاء الجزيرة، و طرد السكان المحليين، أو تحويليهم إلى عبيد و بذلك تصبح جزيرة صقلية إغريقية كما فعلوا في الجنوب الإيطالي الذي أصبح يسمى بلاد الإغريق الكبرى[4]. و من الواضح أن هؤلاء الوافدين الجدد كانوا يتوخون في أول الأمر أضعف الاماكن مقاومة، فاتجهوا إلى الأماكن التي لم تكن بها مستعمرات فينيقية مثل جنوب إيطاليا و كورسيكا و لم يجرؤوا على الاتجاه إلى الساحل الإفريقي فيما بين سيرتس و جبل طارق حيث كانت المستعمرات الفينيقية أكثر أمنا و سلطانا و لم يكن ذلك التوزيع في النفوذ نتيجة اتفاقية ودية بين الفينيقيين و اليونان حيث أن الصراعات التي نشبت في صقلية كان من نتيجتها انسحاب الفينيقيين إلى أقصى الشمال الغربي للجزيرة تؤكد أن مثل هذه الاتفاقيات الودية لم تكن ممكنة أو سهلة[5].

1- عبد العليم رجب محمد، لمحات من تاريخ القارة الإفريقية، الموسوعة الإفريقية، المجموعة الثانية، ماي 1977، ص28.
2- الحراري محمد الطاهر، دوافع الاستيطان الإغريقي بليبيا، مجلة البحوث الأثرية السنة السابعة، العدد الأول، منشورات جامعة الفاتح، ليبيا، جانفي 1985، ص 90-91.
3- البركي مفتاح محمد سعيد، المرجع السابق، ص 124.
4- رزق الله إبراهيم أيوب، التاريخ الروماني، منشورات جامعة سبها، الإدارة العامة للمكتبات و النشر، دون بلد النشر، 1996، ص 134.
5- بكري حسين صبحي، الإغريق و الرومان و الشرق الإغريقي الروماني، عالم الكتب الرياض، 1984، ص 37.

و من ثم التحول بعد ذلك نحو الغرب حيث مناجم الفضة و القصدير في بلاد ترشيش و ما وراءها و التي طالما حلموا بالوصول إليها و السيطرة عليها، و إزاحة الوسيط الفينيقي من أمامهم يساعدهم في ذلك التنافس بين دويلات المدن الإغريقية في البحر الإيجي و الضغط الفارسي الشرق، و الذي أدى إلى زيادة الهجرات التي تحولت نتيجة إلى ذلك إلى معين، و قد بدا لهم ذلك ممكن بعد أن استطاعوا السيطرة على الجنوب الإيطالي حتى سهر أتروريا دون وجود مقاومة تذكر، و استطاعوا الوصول إلى جنوب فرنسا من خلال العبور عبر كورسيكا، حيث أسسوا مساليا التي أسست بدورها سلسلة من المستوطنات الصغيرة على سواحل جنوب شرق إسبانيا و استطاع الإغريق الإمساك بزمام الأمور في جزيرة صقلية و اسنطاعوا بسط سيطرتهم على معظم أرجائها، و لم يبقى خارج سيطرتهم إلا غربها و شمالها مع بداية القرن الخامس قبل الميلاد.[1]

أما الفينيقيون فقد كانت لهم أسبابهم التي دفعتهم إلى مواجهة الإغريق و التحول إلى استخدام القوة المسلحة على غير عادتهم فقد اشتهروا بتغلغلهم السلمي بين الشعوب التي يفدون إلى أراضيها. فكانوا على عكس الاغريق، وجودهم مرحب به سواءًا في صقلية أو في سردينيا[2]، إلا أن الفينيقيين و من ورائهم القرطاجيين شعروا بأن الوجود الإغريقي يهدف إلى أبعد من الاستيطان و أحسوا أن طرقهم التجارية - خاصة مع أتروريا- أصبحت في خطر نتيجة أعمال القرصنة التي كان يمارسها البحارة الإغريق في المنطقة[3]. و أن مصادر ثروتهم هي أيضا في خطر بعد التسرب الإغريقي على جنوب فرنسا، ووجدوا أنفسهم محاصرين من الشرق و الشمال الشرقي بل أن الطريق مع وطنهم الأم صار هو أيضا مهددا بعد تأسيس مستعمرة قوريني في شمال إفريقيا عام 631 قبل الميلاد[4]، و بذلك لم يبقى أمامهم سوى الدفاع عن أنفسهم و تحطيم خصومهم بشتى الوسائل، و قرروا وقف الزحف الإغريقي، فزادوا من وجودهم في غرب صقلية، و زادت مراكزهم في جزيرة سردينيا، و أصبحت المعني الأول بترسيخ الوجود الفينيقي في غرب البحر المتوسط و المسؤولة عن حمايته[5] خاصة و أن صور قد انحدرت إلى الضعف، و مع أن هذا

---

1 -Picard. G. C, Vie te Mort de Carthage, hachette France, paris, 1970, P64.

2- ستيفنسين هاري، تجارة العالم القديم في البحر المتوسط، تاريخ العالم، المجموعة الثانية، ترجمة إدارة المعارف العمومية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، دون سنة النشر، ص165.

3- شاموا فرانسوا، الإغريق في برقة "الاسطورة و التاريخ"، ترجمة محمد عبد الكريم الوافين منشورات قاريونس ليبيا، 1990، ص69.

4- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص126.

5- قنطر محمد حسين، الفينيقيون بناة البحر المتوسط، الطبعة الأولى، أليف منشورات البحر المتوسط تويقال، المغرب، 1997، ص102.

الضعف كان بطيئا و تتخلله فترات من القوة، إلا أن ضعفها كان أكيدا و لا يجعلها قادرة على تقديم العون الفعال إلى المستعمرات البعيدة في الغرب و خاصة التوسع اليوناني قد وقف حائلا في طرق المواصلات المؤدية بينهما و بين تلك المستعمرات و لذا كان من الطبيعي أن تتجه هذه المستعمرات إلى دعم علاقتها مع قرطاجة لتضمن لنفسها حليفا قويا يساندها عند الحاجة[1]. كما سارعت قرطاجة إلى تأسيس مستعمرة **إيبيزا** في جزر البليار حتى يكون وجودها هناك قويا، تستطيع من خلاله حماية مصالحا التجارية في الغرب[2].

كل هذه الخطوات تندرج تحت ما نعرفه اليوم بالتسابق الاستعماري، و ما يسمى بالحرب الباردة بين الطرفين، و لكن مع بداية القرن السادس قبل الميلادي كان الصدام العسكري المباشر في أول مواجهة مسلحة من خلال تلك الحملة التي ارسلتها الدولة القرطاجية إلى صقلية[3].

و في واقع الأمر فإن الصراع الإغريقي القرطاجي على الرغم من تمركزه في صقلية، إلا أنه كان اكثر شمولية، حيث نجد أنه قد شمل شمال إفريقيا، حيث يذكر المؤرخ سالوست أن ذلك الصراع قد امتد حتى أصبح بين قوريني و قرطاجة، و كان محوره مناطق النفوذ في منطقة خليج سرت الكبير، حتى ارهقت الحروب المتكررة بين الطرفين قوتهما[4]، و قد حاولت قرطاجة مرارا كسر شوكة الإغريق من اقتحام مناطق نفوذها، فكانت حريصة كل الحرص على حماية ما يمكن تسميته بالمثلث القرطاجي*، نظرا لما يمثله من أهمية في حماية المصالح الاقتصادية البحرية القرطاجية[5].

ب) <u>دور الأتروسك في الصراع القرطاجي الإغريقي:</u>

لم تكن معرفة الفينيقيين بالأتروسك قد جاءت بعد السيطرة القرطاجية على سردينيا، و لكنها تعود إلى أقدم من ذلك بكثير فقد ظهرت آثار للفينيقيين على الساحل الغربي لإترويكا و يرجح أنها أصل عبادتهم و قد جاءت مباشرة من الشرق و من مصادر فينيقية و لذلك فإن الاتصال الفينيقي

1- عصفور محمد أبو المحاسن، المرجع السابق، ص72.

2 -Picard. G. C, op.cit, P56.

3- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص127.

4- سالوست، حرب يوغرطة، "صفحات من تاريخ شمال إفريقيا القديم"، ترجمة محمد النازي سعود، مطبعة محمد الخامس الجامعية و الثقافية، فاس، 1979، ص162.

5- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص127.

(*): المثلث القرطاجي: هو مثلث استراتيجي يتكون من جزيرة سردينيا و غربي صقلية و هما منطقتان تمثلان قاعدتي المثلث أما قمته فهي قرطاج(انظر سلوست حرب يوغرطة، المرجع السابق، ص146).

الأتروسكي كان قديما قدم وصول الشعبين إلى منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط[1] . و تقاسم كل من الفينيقيين و الأتروسك مناطق النفوذ في هذه المنطقة ، دون منافس في بادئ الأمر، و توثقت العلاقات التجارية بين الطرفين، فقد كانت سردينيا و جنوب إسبانيا و المنطقة الواقعة خلف أعمدة هرقل المجال الحيوي للفينيقيين، بينما كانت كورسيكا و شرق إسبانيا و جنوب فرنسا الحالية منطقة النفوذ التجاري للاتروسك، حيث وجدت كمية من الفخار الأتروسكي في هذه المنطقة[2].

و بذلك سادت العلاقات الحسنة بين الطرفين، و فتحت أراضي كل طرف أمام تجار الآخر، و أصبح كل منهما يكمل الآخر، كل يعمل لتحقيق مصالحه دون المساس بمصالح الطرف الآخر[3].

ظهرت قرطاجة ككيـان سياسي قوي في غرب البحر الابيض المتوسط، و بسطت سيادتها التجارية على المنطقة بشكل يكاد يكون كليًا، و لكنها لم تصطدم في يوم من الأيام بالقوى المحلية، ذلك أنها حلت محل المستوطنات الفينيقية القديمة و أصبحت ممثلة للوجود التجاري الشرقي هناك، كما أن طبيعة القرطاجيين السلمية و ذكائهم الاقتصادي جعلت منهم شركاء تجاريين للسكان المحليين، و ليسوا منافسين لهم، فلم تحاول فرض سيادتهم التجارية عليهم، بل صدروا لهم و استوردوا منهم[4] ، و لذا فقد توثقت العلاقات الاقتصادية بين الطرفين بصورة أكبر بعد ظهور قرطاجة و لكن مع مجيئ الإغريق إلى المنطقة بدأت الأمور تأخذ منحى آخر، و مع أن الإغريق عملوا على الإتجار مع الأتروسك و الاستفادة من المعادن التي كانت بحوزتهم، سواءًا كانت من أترويا نفسها، أو جلبت من فرنسا أو إسبانيا[5]،إلا أن دخول طرف ثالث في الحياة التجارية في المنطقة كان من شأنه أن يغير الموازين فيها خاصة و أن الإغريق قد تدفقوا بشكل قوي و كثيف على الجنوب الإيطالي، و كان تدفقهم استيطانيًا، و على الرغم من أن الحركة التجارية قد نشطت بين المستعمرات الإغريقية في الجنوب الإيطالي و الأتروسك في الوسط و الشمال، إلا أن مجيء موجة استعمارية من مدينة فوكايا الإغريقية في الشرق في نهاية القرن السابع و تأسيس مستعمرة لها في جنوب فرنسا[6] كان سببًا في سوء العلاقة بين الطرفين، في تلك المستعمرة التي نظر إليها

1- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص130.

2 -Gant,Michel. The. The Eruscans. By Michel grant, Publication Ltd, printed in Great Britain by fakenham press limited, London, 1980, P187.

3- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص130.

4 -Aquaro, Enrico, « Phoeniciens and etruans », Tauris publisher, London, New york, 2011, P610.

5 -Burn Andrew, persia and the greeks, The defense of the west 546-478 B.C, edward Arnold publisher, London, 1940, P160.

6- جندي إبراهيم عبد العزيز: المرجع السابق، ص56.

الأتروسك بعين العداء لأنها أسست مجموعة من المستعمرات على الساحل الإسباني، و بدأت تنافسهم في جلب المعادن من فرنسا و إسبانيا بل و أغلقت الطريق في وجههم في بعض الأحيان و من هناك بدأت تتغير الأحوال في المنطقة.

شكل الاستعمار الإغريقي الكثيف في الجنوب الإيطالي و صقلية منطقة ضغط على المصالح التجارية لكل من قرطاجة و أترويا على حد سواء و أصبح التهديد مباشرا للطرق التجارية بينهما الذي كان آمنا، خاصة و أن التجار الإغريق كانوا يمارسون القرصنة ضد السفن غير الإغريقية ، و لذلك اضطر الأتروسكيين إلى تغيير طرق تجارتها نحو الشرق، مرورا بغرب صقلية، هذا الأمر الذي زاد من التعاون القرطاجي الأتروسكي ضد العدو المشترك، و ما زاد الامر سوءا أنه مع بداية القرن السادس قبل الميلاد حدث الضغط الفارسي في الشرق، فازداد عدد المهاجرين الإغريقيين إلى غرب البحر الأبيض المتوسط، ملتحقين بأبناء عمومتهم السابقين و أسس الإغريق الفوكيين مستعمرات جديدة مقابلة للساحل الأتروي نفسه حوالي 560 قبل الميلاد تقريبا[1]، و هذا لا يعني منافسة التجارة الأتروسكية القرطاجية فقط، و إنما يعني وصل المستعمرات الإغريقية في جنوب فرنسا و الجنوب الإيطالي من جهة و قطع طرق التجارة بين قرطاجة و أترويا من جهة أخرى، و بالتالي خنق الاقتصاد القرطاجي و حرمانهم من أهم شريك لهم من خلال محاولتهم احتلال كورسيكا احتلالا كاملا[2]، و هذا يعني السيطرة الإغريقية على شرق و شمال الحوض الغربي للبحر المتوسط انطلاقا من صقلية، فجزيرة كورسيكا ثم الجنوب الفرنسي، و تهديد الوجود القرطاجي في سردينيا و جعله في خطر من خلال السيطرة على طرق مواصلاتها في الغرب[3].

و من هنا أصبح لزاما على القرطاجيين و الأتروسك التكاتف و الوقوف في وجه العدو المشترك، و توج هذا التقارب بالمعركة التي قادها الطرفان متحدين ضد الإغريق في سنة 535 قبل الميلاد و عرفت بمعركة "الاليا" و ترتب عليها طرد الإغريق نهائيا من جزيرة كورسيكا، و تقسيم منطقة النفوذ بين قرطاجة و حليفتها أترووريا، فأصبحت سردينيا من نصيب القرطاجيين و كورسيكا من نصيب الأتروسك[4].

1- نصحي إبراهيم، تاريخ الرومان، المرجع السابق، ص56.

2 -Picardj ham , Le monde de carthage , Editions Carro, pouchet chastel, Paris, 1956, P31.

3- عارف عايدة سليمان، مدارس الفن القديم، دار صادر، بيروت، 1972، ص263.

4- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص193.

و لكن هذه الهزيمة لم تنهي الصراع القرطاجي الإغريقي بل أدت إلى نقله إلى مواجهة مباشرة بين القرطاجيين مرت بعدة مراحل.

ج) مراحل الصراع المباشر الإغريقي القرطاجي.

- بدأ الصراع القرطاجي الإغريقي المباشر مع بداية القرن السادس قبل الميلاد و لم ينته حتى نهاية الربع الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، و على الرغم من أن الحرب بين الطرفين لا تكاد تنتهي حتى تقوم من جديد خلال هذه الفترة، إلا أنها مرت بثلاثة مراحل رئيسية اعتبرت الخطوط الفاصلة في هذا الصراع:

بدأت المرحلة الأولى مع تولي الطاغية جيلون* حكم سيراكوزا و ميزتها معركة هيميرا عام 480 قبل الميلاد[1]، التي انتهت بهزيمة عسكرية قاسية على القرطاجيين كما تذكر المصادر الكلاسيكية فالمعركة كانت لها نتائج مهمة توحي بأن قرطاجة لم تكسب هذه المعركة أهمها ما يلي:

* كسر شوكة قرطاجة العسكرية بشكل جعل القرطاجيين يعيدون حساباتهم في إعداد الحملات، و في نفس الوقت زرعت الثقة في نفوس الإغريق خاصة سيراكوزا مما جعلها تكون ندا لقرطاجة.

* أصبحت سيراكوزا رأس حربة الصراع الإغريقي القرطاجي فعملت على ضم المستعمرات الإغريقية تحت لوائها.

* و أهم نتيجة هو توقف القتال بشكل مؤقت لفترة طويلة من الزمن استمرت حوالي سبعين سنة مما يعني أن الحرب كانت قاسية على الطرفين[2].

كما نبهت معركة هيميرا القرطاجيين على الفضاء الإفريقي، فبعد تلك المعركة أدرك القرطاجيون أنه لا يمكنهم الاعتماد على التجارة البحرية كمصدر أساسي لاقتصادهم و ثرواتهم بعد ظهور المنافسة الإغريقية الجديدة لهم، مما أوجب عليهم البحث عن البديل لدعم قوتهم

1- يحي لطفي عبد الوهاب، مقدمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991، ص153.
2- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص142.
*جيلون: أحد القادة العسكريين الطغاة وصل إلى سدة الحكم في سيراكوزا و قد ظهر هذا الطاغية في مستعمرة تدعى "جيلا" بعد الوفاة حاكمها المدعو الذي ترك ولدين صغيرين على عرشها، حيث وقف إلى جانب الطفلين كوصي عليهما و حاول تدعيم نفوذه بعقد تحالفات مع طغاة آخرين، بل و صاهر بعضهم مما منحهم نفوذا أقوى على ساحل الجزيرة الجنوبي و قد تزامن ذلك مع نشوب ثورة الارستقراطية في سيراكوزا عام 485 قبل الميلاد و نشأ مع تلك الثورة فراغ سياسي في المستعمرة أدى على إتاحة الفرصة أمام جيلون للاستيلاء على السلطة فيها و بذلك أصبح معظم الساحل الجنوبي بحوزته (أنظر lioyd. watkis, History of Schicily to the Athenian war, London, 1872,P96.)

الاقتصادية فتحولوا إلى بسط نفوذهم على إفريقيا، و اتجهوا إلى الاهتمام بالزراعة و التجارة البرية كما أدت تلك المعركة إلى تقليص النفوذ القرطاجي في صقلية طيلة سبعين سنة و حلول النفوذ الأثيني محله[1].

كما ساعدت تلك الموقعة على إنهاء التحالف القرطاجي الاتروسكي الذي ظهر في معركة الاليا عام 535 قبل الميلاد حيث لم يظهر أثر لمساعدة الأتروسك لحلفائهم القرطاجيين في تلك الحرب كما أن قرطاجة لم تستطع مساعدة الاتروسك عندما هزمهم الإغريق في معركة كوماي عام 474 قبل الميلاد و من هنا نجد أن معركة هيميرا شكلت منعرجا مهما في تاريخ الحوض الغربي للبحر المتوسط بشكل عام و تاريخ قرطاج بشكل خاص[2].

بدأت المرحلة الثانية من الصراع الإغريقي القرطاجي بمجيء دينيسيوس على سدة الحكم فرأى هذا القائد المحنك تسير في غير صالح سيراكوزا[3] خاصة بعد الحملتين العسكريتين لقرطاج من قبل حنبعل في المرة الأولى و من قبل جميلكون في المرة الثانية اللتين كانتا لهما آثار جانبية على بعث الوجود القرطاجي من جديد في المنطقة، فبادر إلى طلب الصلح من القرطاجيين و كان أهم هذه الشروط:

- من حق القرطاجيين أن يفرضوا سيادتهم على مجموعة من المدن مثل: هيميرا، جيلا...الخ. فضلا عن ممتلكاتهم السابقة في الجزيرة مع بقاء سكان الجزيرة من الإغريق فيها دون أن يكون لهم الحق في تحصينها و ان تبقى مفتوحة في وجه السفن القرطاجية[4]. كما يحق لقرطاجة ممارسة التجارة في مختلف المدن الإغريقية و إقامة الوكالات التجارية فيها[5].

و ما إن اعتلى ثيمولين عرش سيراكوزا حتى بدأ يثير المتاعب في وجه النفوذ القرطاجي بإثارة المدن الصقلية الإغريقية و تأليبها على القرطاجيين[6]، حيث وصلت قمة الصراع بين الطرفين بمعركة حاسمة كان النصر فيها للإغريق هي معركة كريمسوس و بعد هذه الحركة بدأت

1 - Rollin. M. op.cit, P125.

2- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص143.
3- تسركيين يوني بركوفيتشن المرجع السابق، ص58.

4 - Rollin. M. op.cit, P126.
5 -Alfred. J. Chrch, M.A. op.cit. P67,68.
6 - Alfred.J, op.cit, P73.

قرطاجة تنتهج نهجا جديدا في سياستها اتجاه الإغريق حيث بدأت تعتمد على الطرق السلمية و محاولة تثبيت سلطانها عن طريق تنصيب زعماء إغريق[1].

- أما المرحلة الثالثة فقد بدأت بمجيء أجاتوكليس[*] على رأس سيركوزا الذي حاول نقل الصراع من صقلية إلى شمال إفريقيا إلا أنه تعرض للخيانة من قبل حلفائه البونيين مما أدى إلى هزيمته[2]، لينتهي الصراع القرطاجي الإغريقي الذي استمر طيلة قرنين و نصف القرن من الزمن تقريبا أي منصف القرن السادس قبل الميلاد تقريبا حتى بداية القرن الثالث قبل الميلاد[3].

د) نتائج الصراع الإغريقي القرطاجي.

* هذا الصراع أدى إلى بروز سيراكوزا كرأس حربة في الصراع مما أعطى لها الحجة في فرض سيطرتها على باقي المدن الإغريقية في الجزيرة[4].
* دخول دول الإغريق الكبرى كإسبرطة و كورنثا كطرف في الصراع فكانت الإمدادات المالية و العسكرية ترد إلى سيراكوزا باستمرار مما أدى إلى طول نفس الحرب عند الإغريق[5].
* أدى الصراع الإغريقي القرطاجي إلى بروز التحالفات العسكرية لأول مرة في غرب المتوسط حيث ظهر التحالف القرطاجي الاتروسكي.
* أنهك هذا الصراع قوة قرطاجة العسكرية في صقلية كما فتح هذا الصراع شهية روما و نبهها غلى أهمية صقلية فلم يكد ينتهي الصراع اليوناني القرطاجي حتى بدا الصراع القرطاجي الروماني و الذي ترتب عنه احتلال صقلية من قبل الرومان[6].

1- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص156.

*أجاتوكليس: ولد في مدينة ثير في شمال صقلية تحت النفوذ القرطاجي ثم انتقل مع والده إلى سيراكوزا، و لكنه اتهم بتزعم الحزب الديمقراطي و السعي إلى قلب نظام الحكم فيها فتم طرده من سيراكوزا، حيث امتهن الجندية و كون اتباعا خاصين به (أنظر (Cary.M, A History of Greek world from 323 b.c to 146 b.c, London. 1959, P167

2- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص159.

3 -Cary. Litt. Op.cit, P173.

4- البركي مفتاح محمد سعدن المرجع السابق، ص165

5 - Diodorus of civily, XIV, P58.

6- البركي مفتاح محمد سعدن المرجع السابق، ص165

المبحث الثاني: الصراع القرطاجي الروماني.

أ) العلاقات القرطاجية الرومانية قبل الصراع.

تأسست مدينة روما في النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد، و عاشت في ظل الحكم الملكي نحو قرنين م نصف القرن من الزمن ثم تخلصت روما في نهاية القرن السادس قبل الميلاد من النظام الملكي و ظهر النظام الجمهوري في نفس الوقت الذي تأسست فيه الديمقراطية في أثينا[1]، و قد اعتمد الاقتصاد في دولة روما على الزراعة في كانت قرطاج دولة بحرية تعتمد في اقتصادها على التجارة و لهذا لم يكن ما يدعو للخلاف بين هاتين القوتين فالنشاط التجاري الخارجي لروما في مجال الزراعة لم يتعارض مع المد البحري القرطاجي الذي يسلك طريق البحر و من ثم فلا تعارض في مصالح البلدين و انطلاقا من هذا فقد عقدت عدة اتفاقيات بين الإمبراطوريتين[2].

1- المعاهدة الأولى:

كانت قرطاجة يعنيها أن تحتفظ بالطريق بين مضيق جبل طارق و البحر المتوسط الشرقي ففي الاتفاقية الأولى مع روما تم الاتفاق على ما يلي: إن الرومانيين و حلفاء الرومان لا يخوضون البحر فيما خلف المرتفع الجميل[*] إلا إذا أرغمهم على ذلك هياج البحر او الاعتداء و إذا انجر إلى هذه النواحي أحد بغير إرادته، فإنه لا يشتري و لا يأخذ أي شيء باستثناء ما يحتاج إليه لإصلاح مركبه و يجب أن يرحل في غضون خمسة أيام. كما نظم أحد بنود الاتفاقية الأولى شروط للتجارة التي يتعاطاها الرومانيون في ليبيا[3].

أما أولئك القادمون للقيام بالنشاط التجاري فإن اية مبادلة لا يمكن أن تعقد إلا بحضور مبشر أو كاتب موثق، و أما بالنسبة لنظام المشتريات النافذة بحضور هؤلاء الموظفين فإن الدولة تأخذها على ضمانتها تجاه البائعين، و ذلك بالنسبة للمبيعات التي تتم في سردينيا أو إفريقيا.

و كل روماني يأتي إلى صقلية في المنطقة الخاضعة لسلطة قرطاجة يستمتع بالحقوق نفسها التي يتمتع بها الآخرون، و قد لاحظ أغلب المؤرخون أن هذه المعاهدة تظهر لنا أن القرطاجيين

1- السيد محمود، التاريخ اليوناني و الرومانين مؤسسة شباب الجامعة، دون مكان النشر، 2007، ص95.

2- سعد عبد المنعم بركة، المرجع السابق، ص38.

(*): المرتفع الجميل: هو رأس سيدي علي المكي الذي يغلق من جهة الشمال خليج قرطاجة (انظر إصطفان إكمال، تاريخ شمال إفريقيا، الجزء الرابع، ص93).

3- إكمال إصطفان المرجع السابق، ص 92،93.

كانوا يعتبرون سردينيا و إفريقيا ممتلكاتهم الخاصة بهم و لكنهم لا يذهبون هذا المذهب بالنسبة لصقلية حيث يميزون بشكل واضح الجزء من الجزيرة الذي كان خاضعًا لقرطاجة[1].

2- المعاهدة الثانية:

أما المعاهدة الثانية فتذكر بإيضاح الشروط المشتركة بين الطرفين و هي فيما وراء المرتفع الجميل فإن الرومانيين لا يغنمون و القرطاجيون إذا استولوا على مدينة غير خاضعة للرومانيين فإنهم يملكون ثروات هذه المدينة و أهاليها، و إذا استولى بعض القرطاجيين على ناس ليسوا تابعين للرومانيين و مع ذلك فلهم مع هؤلاء معاهدة سلام مكتوبة فلا يأخذونهم على موانئ الرومانيين فإنه يطلق، و الرومانيون من جانبهم يكونون ملتزمين بنفس الشروط، و إذا أخذ أحد الرومانيين الماء و المؤن من أرض تابعة للقرطاجيين فلا يجب أن تستعمل ذلك لإحداث الضر لأي واحد ممن هم في سلام و صداقة مع القرطاجيين و نفس المنع يقع على القرطاجيين[2].

ب)أسباب الصراع:

بمرور الوقت أخذت روما في النمو في الوقت الذي تزدهر قرطاج بمستعمراتها في البحر المتوسط، و أسطولها التجاري و الحربي و قد أصبحت الأمور أكثر تعقيدا عن ذي قبل و فعلا أصبح هناك تعارض في المصالح بين القوتين الكبيرتين[3]، خاصة في مناطق الإنتاج مثل الجزر البريطانية و إسبانيا مصدر مادتي الفضة و القصدير، و لكن من المعروف أن الصراع قد تركز في جزر البحر الأبيض المتوسط[4]، كما أن الصراع القرطاجي الإغريقي فتح شهية روما و نبهها إلى أهمية صقلية فلم يكد ينتهي الصراع القرطاجي الإغريقي حتى بدأ الصراع القرطاجي الروماني[5].

و قد بدأت هذه المغامرة حين طلبت مسانة إحدى مدن جزيرة صقلية المساعدة الرومانية مدينة سيراكوزا[6] التي برزت كرأس حربة في الصراع الإغريقي القرطاجي و الواقعة إلى جانب مدينة مسانة في جزيرة صقلية و قد تدخلت روما إلى جانب المدينة التي استنجدت بها[7]، و أدى هذا

1- دوكريه فرانسوا، المرجع السابق، ص92.
2- إكصال إصطفان، المرجع السابق، ص ص 100،99.
3- بركة سعد عبد المنعم، المرجع السابق، ص38.
4- البشي إبراهيم العيد، تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة، دار هومة، الجزائر، دون سنة النشر، ص175.
5- البركي مفتاح محمد سعد، المرجع السابق، ص 165.
6- البشي إبراهيم العيد، المرجع السابق، ص175.
7- الشيخ حسين، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة الجزء2 الرومان، دار المعرفة الجامعية، دون مكان للنشر، 2004، ص22.

أي تدخل في المنطقة التي كانت ترى فيها مجالها الحيوي الاقتصادي الذي يقوم عليه كيانها و من ثمة تعتبرها بحق نطاق نفوذها الطبيعي[1].

حيث عملت روما منذ الوهلة الأولى بعد تأسيس الجمهورية خلال نهاية القرن السادس و بداية القرن الخامس قبل الميلاد على اتباع الطرق الحربية و السيطرة على كامل الشعوب المتموضعة في سهل اللاتيوم و مرتفعات شمال إيطاليا، و لم تقف عند ذلك الحد بل اتجهت بأنظارها بعد توحيد شمال إيطاليا تحت سيطرتها إلى ابتلاع مدن الجنوب الإيطالي الذي كان سكانه من التجار الإغريق، و توحيد شبه جزيرة إيطاليا تحت السيادة الرومانية لتقف روما على الضفة الشمالية لمضيق ميسانا[*] و بالتالي يزاح الستار الحاجز الذي كان يقف بين روما و قرطاجة، و باستيلاء روما على مدينة ميسانا في شمال جزيرة صقلية تلغى جميع المعاهدات السلمية بين روما و قرطاجة، و يصبح السلاح هو الحكم الوحيد في حروب قاسية دامت مدتها قرنا و ثماني عشرة سنة تقريبا و قد عُرفت في التاريخ بالحروب البونية[2].

ج) مراحل الصراع الروماني القرطاجي:

كانت المرحلة الأولى من هذه الحرب بين روما و قرطاجة ما بين سنوات (264-241 قبل الميلاد) حيث دفع الرومان بأكبر عدد ممكن من قواتهم إلى المعركة كما اضطر إلى إنشاء اسطول بحري بغرض الاستمرار فيها و انتهت المرحلة الأولى من الحرب بصلح بين القوتين المتناحرتين في 241 قبل الميلاد استولت روما بمقتضاه على جزيرة صقلية و جعلت

الشكل 20: خريطة تمثل مسار الحرب البونيةالأولى
http://www.tunisientunisie.com/histoirela-premiere-guerre-/punique-264-241-av-j-c

1- أبو السعد خيري، قصة الحضارة الإغريقية و الرومانية، دار الكتاب، دون مكان للنشر، ص263.

(*): مضيق ميسانا هو المضيق الفاصل بين صقلية و إيطاليا، أنظر محمد الصغير غانم، معالم الوجود الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر،2003، ص245.

2- غانم محمد الصغير، معالم الوجود الفينيقي البوني في الجزائر، دار الهدى، الجزائر، ص244.

منها أول ولاية رومانية[1]، في المقابل هزمت قرطاجة و فقدت مواقعها في جزيرة صقلية و فرضت عليها غرامات مالية حربية ثقيلة انجر عنها انهيار اقتصادها و نضوب مدخراتها المالية فعجزت عن تسديد ما كان في ذمتها من مرتبات متأخرة للجنود المرتزقة الذين سرحوا و عادوا من صقلية إلى إفريقيا و هناك زاد غضبهم إلى غضب السكان الليبيين و قد أثقلت قرطاج كاهلهم بالضرائب أثناء الحرب و بعدها فقاموا مع الكادحين من الجند بثورة مريعة كادت تؤدي بقرطاج إلى الهاوية ما بين سنتي 241 و 237 قبل الميلاد[2]، و لم تكد تمضي ثلاثة سنوات على انتهاء الحرب البونية الأولى حتى فكر

الشكل 21:خريطة تمثل مسار الحرب البونية الأولى
http://fr.wikipedia.org

الرومان في الاستيلاء على جزيرتي كورسيكا، وسردينيا اللتين كانتا تدخلان في دائرة نفوذ قرطاجة، و قد تم الاستيلاء الروماني على هاتين الجزيرتين، ة كان الرد القرطاجي على هذا الاستيلاء هو الحرب البونية الثانية[3].

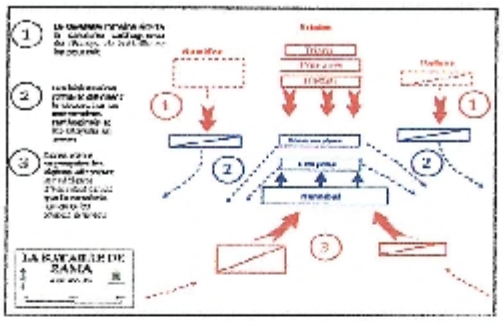

الشكل 22: مخطط معركة زاما
http://fr.wikipedia.org

و في سبيل الاستعداد إلى هذه الحرب قام القائد القرطاجي هاملكار بإخضاع المناطق الواقعة في جنوبي إسبانيا حتى يستطيع أن يجمع العدد اللازم لمضاعفة القوات القرطاجية من بين سكانها، و في 218 قبل الميلاد قام ابنهحنبعل بهجوم اجتاح فيه إيطاليا بقوة مكونة من الإسبانيين و سكان شمال إفريقيا[4].

و قد استطاع هذا القائد الإغريقي أن يلحق بالرومان في المراحل الأولى من الحرب البونية الثانية هزائم كبيرة خاصة في معركة "كاناي"، و لكن الرومان الذين اعتمدوا على المساعدات

1- جوليان شارلي أندري، المرجع السابق، ص76.
2- الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس، ترجمة محمد الشاوش، محمد عجينة، سراس للنشر، تونس، دون سنة للنشر، ص21.
3- شنيتي محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة) 146 ق.م، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص22.
4- محمد فؤاد و آخرون، موسوعة المعرفة، مجموعة 6، الشركة الشرقية، دون مكان للنشر، دون سنة للنشر، ص 914.

و قد استطاع هذا القائد الإغريقي أن يلحق بالرومان في المراحل الأولى من الحرب البونية الثانية هزائم كبيرة خاصة في معركة "كاناي"، و لكن الرومان الذين اعتمدوا على المساعدات العسكرية التي كان يمدهم بها حلفائهم الإيطاليون، استطاعوا أن يعوضوا الأعداد التي فقدوها في كاناي، و لجأوا إلى حرب المراوغة التي تمكنوا عن طريقها من إنهاك قوات هانيبال حتى أصبحوا في مقدورهم أن يوجهوا إليه هجوما مضادا[1].

و أخيرا انهزم القرطاجيون في واقعة زاما سنة 202 قبل الميلاد، و أبرمت على إثرها معاهدة صلح ثقيلة و بمقتضى هذه المعاهدة التزمت قرطاجة بدفع غرامة مالية ثقيلة و بالتخلي عن فيلتها و أسطولها الحربي كما تعهدت بأن لا تعلن حربا في المستقبل بدون موافقة روما[2].

و إذا كان القرطاجيون وصلوا إلى هذا الوضع فإن الرومان لم يركنوا إلى الأمان، و إنما كانوا يعتقدون دائما أن القرطاجيين ينتظرون فرصة مواتية لحرب انتقامية أخرى كتلك التي شنتها تحت قيادة هانيبال و هكذا أخذ الرومان يلتمسون الفرصة كي يبادروا بالمهاجمة[3].

و قد جاءت الفرصة بعد مرور خمسين سنة على الجولة الثانية من حروبهم مع قرطاجة حين وقع القرطاجيون في خطأ جسيم في تطبيق أحد بنود السلم الذي فرضته روما في 201 قبل الميلاد[4]، فقد بدأ ماسينيسا يأخذ القطعات القرطاجية، القطعة تلوى الأخرى على مرأى و مسمع من الرومان و كانوا محايدين في الظاهر و في حقيقة الأمر مؤيدين لصنيعه فردت قرطاجة سنة 150 قبل الميلاد بإعلان الحرب لكنها خسرتها[5]، و هنا شن الرومان هجومهم الذي عرف باسم الحرب البونية الثالثة (149-146 قبل الميلاد) حيث حاصر الرومان مدينة قرطاجة و استولوا عليها و دمروها نهائيا ثم باعوا ما تبقى من سكانها في أسواق النخاسة، و هكذا تحولت أراضي قرطاجة إلى ولاية رومانية تحت اسم ولاية إفريقية[6]. و لكن لم يكن يهم الرومان التغلب على عدو

1- بشي إبراهيم العيد، المرجع السابق، ص 179.
2- الشريف محمد الهادي، المرجع السابق، ص22.
3- بشي إبراهيم العيد، المرجع السابق، ص79.
4- الخطيب محمد، الحضارة الفينيقية، دار العلاء، دمشق سوريا، دون سنة للنشر، ص79.
5- الشريف محمد الهادي، المرجع السابق، ص179.
6- الخطيب محمد، المرجع السابق، ص179.

لهم لم يبقى أدنى شك في انهياره، بقدر ما كان يهمها منع ماسينيسا من دخول قرطاج و جعلها مركزا لقوة جديدة قد لا تُحمد عقباها على الرومان[1].

د) **نتائج الحروب البونية.**

تؤكد مختلف الدراسات على أن فترة الحروب البونية لم تكن نتيجتها الوحيدة هي القضاء على قوة قرطاجة و إقامة ولاية إفريقية فحسب، و إنما أدت سواءا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى السيطرة على القسم الغربي للبحر المتوسط[2].

لقد كان نتيجة الجولة الأولى من هذه الحرب أن حصلت روما على أولى ولاياتها في صقلية، و قد شهدت الجولة الثانية امتداد النفوذ الروماني إلى مناطق أخرى غير صقلية، ففي أثناء الحملة استطاع القائد الروكاني سكيبو أن يكسب إلى جانب الصف الروماني ملك نوميديا التي اصبحت بعد ذلك تابعة لروما، و قد حاول أحد ملوك الأسرة الحاكمة التابعة أن يخرج عن طاعة روما، كذلك كان من نتائج السلم الذي فرضه الرومان على القرطاجيين سنة 106 قبل الميلاد و الذي سبقت الإشارة إليهن أن استولت روما على مناطق السيطرة القرطاجية[3] كما سيطرت على إسبانيا حتى تستطيع بذلك أن تحمي نفسها من اي هجوم آخر محتمل على إيطاليا من القواعد التي كانت قرطاجة تملكها هناك، كما حدث في بداية الحرب البونية الثانية، و لم يكتفي الرومان بالاستيلاء على هذه القواعد، و إنما أرادوا أن يؤمنوها من الجانبين البحريين الشرقي و الغربي لغسبانيا، و هكذا خاضوا حربين طويلتين غمتدت إحداهما من 197 إلى 179 و الأخرى من 154 إلى 133 قبل الميلاد انتصروا في النهاية على هؤلاء و قد كانت نتيجة هذا الانتصار هو السيطرة على كل شبه جزيرة أيبيرية[4].

كذلك استطاع الرومان من خلال الحروب البونية ان يضعوا أقدامهم في غالية (فرنسا حاليا) عن طريق تحالف تم بينهم و بين مدينة ماسيليا (مارسيليا حاليا) و مسيليا هي مستعمرة يونانية طلبت من روما سنة 125 قبل الميلاد مساعدة ضد هجومات القبائل الغالية الواقعة إلى شمالها و قد مدت لها روما يد المساعدة، كما انتهى الأمر في حالة مسانة إلى سيطرة روما على كل جزيرة صقلية فقد انتهى الأمر هنا نتيجة لعدة انتصارات رومانية سريعة إلى السيطرة

1- الشريف محمد الهادي، المرجع السابق، ص23.
2- الخطيب محمد، المرجع السابق، ص79.
3- عتون العربي، حرب يوغرطة، دار الهدى، عين مليلة دون سنة للنشر، ص43.
4- رزق الله إبراهيم ايوب، المرجع السابق،ص34

الرومانية على القسم الشرقي للمنطقة (غالة) و اصبحت ولاية أخرى من الولايات الرومانية، و هكذا لم يأتي عام 120 قبل الميلاد حتى كان القسم الغربي للبحر المتوسط قد أصبح يدين بالتبعية و الولاء لروما[1].

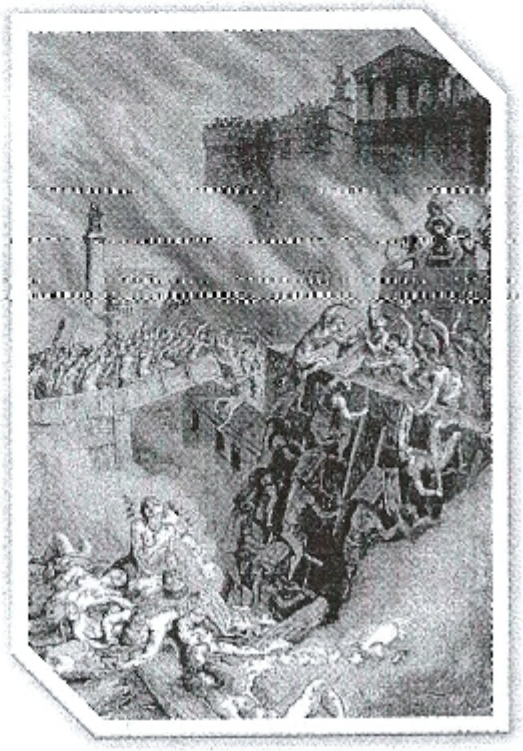

الشكل 23: سقوط قرطاجة
http://voyagesenduo.com

1- بشي إبراهيم العيد، المرجع السابق، ص176.

خاتمة :

مما تقدم اتضح أن معرفة الفينيقيين بالحوض الغربي للبحر المتوسط كانت مبكرة، حيث استوطنوه و أسسوا مراكزهم التجارية فيه، و لم تلبث تلك المراكز أن تحولت الى مستوطنات دائمة أصبحت قبلة لإخوانهم في الشرق بعد أن ضاقت بهم السبل، و ما لبثت إحدى تلك المستوطنات – قرطاجة – أن نمت و تطورت بشكل سريع، مستفيدة من الظروف التي ألمت بالمنطقة فأصبحت محط أنظار الفينيقيين في الشرق و الغرب على حد سواء نتيجة تعرضهم لأخطار عدة كان على رأسها الزحف الآشوري و البابلي و الفارسي على وطنهم الأم في شرق المتوسط، حيث شعر المستوطنون الفينيقيون بهذه الأخطار فاتجهت أنظارهم نحو مدينة قرطاجة التي كانت تتمتع برعاية أقوى المدن الفينيقية، ثم ما لبثت هذه المدينة أن أصبحت زعيمة للعالم الفينيقي، و في نفس الوقت زعيمة للنشاط التجاري البحري في حوض البحر الأبيض المتوسط و ذلك راجع لعدة أسباب.

أولا: لأن التجارة البحرية هي تجارة ورثها القرطاجيون على وطنهم الأم و هي المهنة التي اشتهر بها أجدادهم الاوائل الفينيقيين.

ثانيا: لأن قرطاج رأت فيها مورد رزق جيد فراحت تعمل على تنظيمها و هيكلتها بطريقة جيدة بتوفير كل ما تحتاج له هذه التجارة من الموانئ التي كانت في بداية الأمر موانئ طبيعية ثم عملوا على تطويرها بتطبيق نظام الميناء المزدوج، كما عملوا على بناء سفن تجارية ضخمة كي تستطيع حمل السلع الكثيرة و المتنوعة حيث كان القرطاجيون يمثلون الوسيط الاقتصادي في حوض البحر الأبيض المتوسط.

و لكي يحافظوا على أسرار هذه التجارة كانوا يضللون الطرق التجارية البحرية لكل من يريد أن يتقفى خطاهم لمعرفة طرقهم التجارية فعملوا على إغراق العديد من السفن، و رغم كل هذا التنظيم و هذه الحنكة الاقتصادية السابقة لعصرها إلا أن القرطاجيين تأخروا في ضرب عملتهم و اعتمدوا على المقايضة لفترة طويلة من الزمن.

و الملاحظ أيضا أن هذه التجارة شملت كل الساحل المتوسطي، من شرقه إلى غربه حيث تجاوزت أعمدة هرقل و هذا ما مكنهم الحصول على سلع متنوعة و جلب أرباح كبيرة.

لكن هذا النجاح و هذه القوة التجارية البحرية التي كان لها الأثر الإيجابي على تطور الحياة السياسية كانت نتيجتها منافسة قرطاجة من قبل قوى متوسطية أخرى على هذا المورد الاقتصادي الحيوي مما افرز صراعات حول مناطق النفوذ و قد تجسد ذلك في صراعين هامين هما :

- الصراع الإغريقي القرطاجي الذي لعب دورا مهما في تراجع التجارة البحرية التي كانت تمثل عصب الحياة الاقتصادية لقرطاج و كانت بداية تحولها نحو التجارة البرية و بداية اهتمامها بالزراعة و نتيجة لذلك بدأت قرطاج تولي الزراعة أهمية خاصة فأنشأت المزارع و جلبت بعض المزروعات التي لم تكن معروفة من قبل في شمال إفريقيا.
- كما كانت نتيجة ذلك اهتمامها بالصناعة الحربية على حساب صناعات أخرة كصناعة الحلي و مواد الزينة.
- كما ترتب على منافسة الإغريق لقرطاج زيادة اهتمامها بالفضاء المغاربي و التفاتها إلى البضائع الإفريقية مما أدى إلى تنشيط التجارة البرية.
- و لم تلبث قرطاج أن خرجت من صراعها مع الإغريق حتى دخلت في صراع جديد مع قوة أخرى و هم الرومان مما أدى إلى مواجهات عسكرية متتالية مثلتها ثلاث حروب دامية عرفت باسم الحروب البونية التي كانت نتيجتها إحراق قرطاج و تدميرها نهائيا و بيع ما تبقى من سكانها كعبيد.

و يمكن أن نلخص في الأخير ما يلي :

- أن التجارة القرطاجية البحرية هي التي جعلت منها إمبراطورية اقتصادية كبيرة و أهلتها لزعامة العالم الفينيقي، و مكنتها من أن تكون الوسيط التجاري الأول في حوض البحر الأبيض المتوسط و ناقلة الحضارة للشعوب المتخلفة التي لم تعرف بعد في تلك الفترة السلع المصنعة.

- لكنها في نفس الوقت - التجارة البحرية القرطاجية- كانت سببا في تراجعها و أفولها بسبب المنافسة مع الإغريق و الرومان التي أفضت إلى مواجهات عسكرية دامية كانت نتيجتها النهائية القضاء على قرطاج.
- و مهما يكن فإن الفينيقيون عموما و القرطاجيون على وجه الخصوص كانوا الأوائل الذين نظموا نشاطا اقتصاديا جديدا لم تعرفه شعوب سبقتهم هو التجارة البحرية و أنهي بقول بلني : إن إقامة النظام الملكي كان من صنع المصريين و إقامة النظام الديمقراطي يعود للأثينيين بينما البونيون كما يضيف بلني إنما اخترعوا التجارة".

الملاحق

الشكل 24: المواقع الفينيقية العتيقة في تونس

محمد حسين فنطر، الحرف و الصورة في قرطاج، ص10.

الشكل 25: مـواقع أثرية لقرطـــاجة

fr.academic.ru

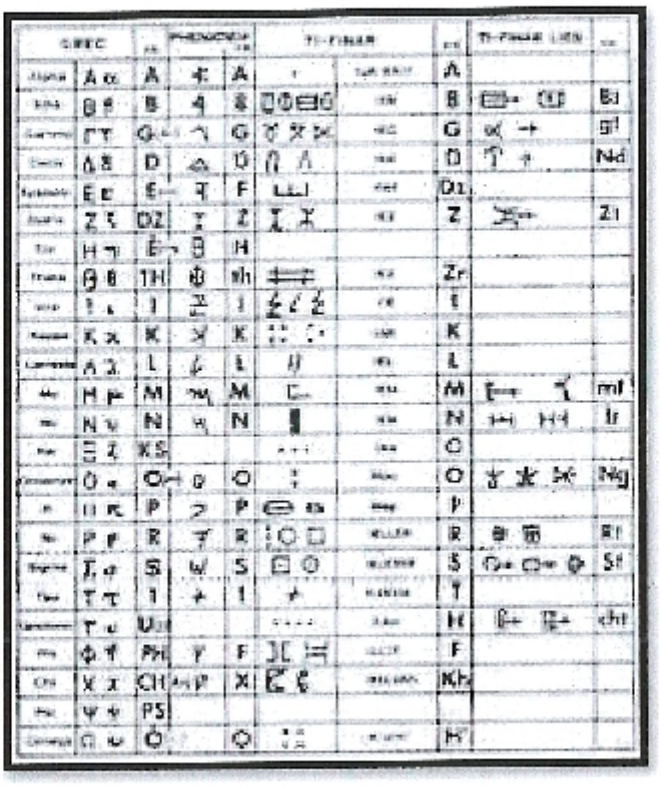

الشكل 26:صخرة عليها كتابات فينيقية في بارايبا - البرازيل

المصدر :كـولـمبـــس ؟؟.. أم الفينيقيـــون
..http://www.oldamasc.com/vb/oldamasc45669/#ixzz1w95ZiTZL؟؟

في العام 1872 عثر على صخرة عليها كتابات فينيقية في بارايبا البرازيل، اعتبرها النقاد آنذاك كتابات مزورة. عالم الآثار المستشرق الأمريكي غوردون، أستاذ دراسات الشرق الأوسط في جامعة براندييس- بوسطن- أكد أنها كتابات فينيقية حقيقية أصيلة وأن النقاد عام 1872 كانوا يجهلون الأحرف الفينيقية..

فيمايلي ترجمة الكتابة الفينيقية للمستشرق الأمريكي وعالم الآثار:Gordon

(نحن كنعانيون من صيدا، مدينة الملك التاجر، وصلنا إلى هذه الجزيرة الكبرى في المحيط، أرض جبلية بعيدة، في السنة التاسعة عشرة من حكم ملكنا القوي حيرام، نقدم فتى مراهقا تضحية لآلهتنا في السماء. أبحرنا بمراكبنا من ميناء أسيون جبر على ساحل البحر الأحمر، كنا عشرة مراكب نتجول حول ليبيا (أي إفريقيا) خلال سنتين، بعدها افترقنا عن بقية رفاقنا. وصلنا إلى هذا الساحل اثني عشر رجلاً وثلاث نساء، هل أنا القائد الرجل الهارب؟ كلا.. اطلب مساعدة الآلهة في السماء...)

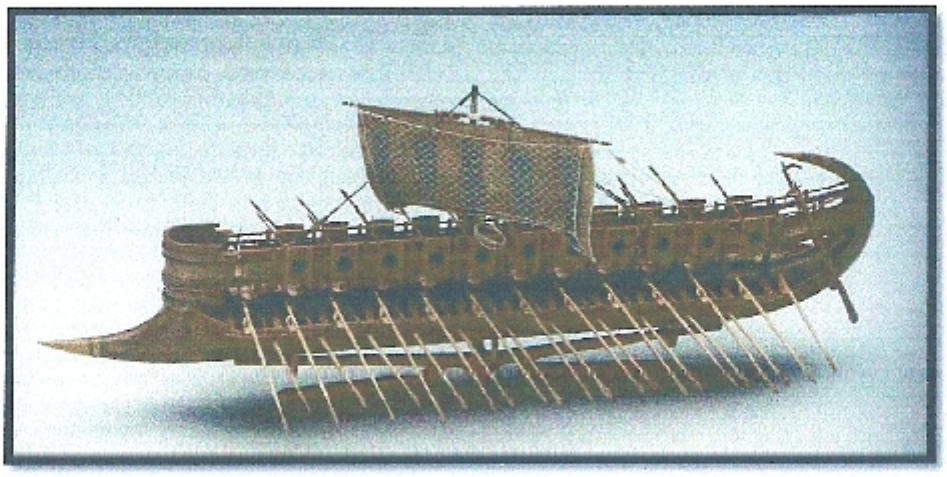

الشكل 27: سفينة حربية قرطـاجية

الشكل 28: جزر البـاليـار

عن قـوقل ارث بتصرف.

الفهارس

فهرس الأشكال و الصور

رقم الشكل	العنـــوان	الصفحـة
01	خريطة تمثل التوسع الفينيقي في البحر الأبيض المتوسط	12
02	خريطة مدينة قرطاجة	15
03	مجسم يمثل ميناء قرطاجة العسكري.	21
04	صورة جوية تمثل ميناء قرطاجة التجاري و العسكري و المساحة المائية المحيطة به.	23
05	صورة جوية تمثل ميناء قرطاجة التجاري و العسكري.	23
06	صورة لسفينة قرطاجية تجارية	24
07	نصب أثري يمثل جزء من سفينة بحرية تجارية.	26
08	مجسمات لسفن تجارية قرطاجية	26
09	صورة لسفينة قرطاجية تجارية صغيرة (الأحصنة)	27
10	العملات القرطاجية	30
11	العملات القرطاجية	32
12	العملات القرطاجية	32
13	التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط	33
14	خريطة مصر القديمة	34
15	صور أواني من الفخار الأتيكي	35
16	موقع قادس على الخريطة	36
17	خريطة تمثل موقع الأتروسكيين في شبه الجزيرة الايطالية	39
18	موقع جزيرة سردينيا	40
19	: موقع جزيرة صقلية	43
20	خريطة تمثل مسار الحرب البونية الأولى	52
21	خريطة تمثل مسار الحرب البونية الأولى	53
22	مخطط معركة زاما	53
23	سقوط قرطاجة	56
24	المواقع الفينيقية العتيقة في تونس	65
25	مواقع أثرية لقرطاجة	66
26	صخرة عليها كتابات فينيقية في بارايبا - البرازيل	67
27	سفينة حربية قرطاجية	68
28	جزر البالير	68

فهرس أسماء الأماكن و الأشخاص

1- أسماء الأماكن

- أ -

- أعمدة هرقل – ص42
- إسبانيا – ص36،37
- إيطاليا – ص61

- ب -

- البحر المتوسط – ص02، 03، 04، 05، 07، 45، 49.
- بريطانيا – ص37،57.
- بلاد الإغريق – ص31، 38، 41، 55.

- ت -

- تونس – ص14، 35.

- ج -

- جزر البليار – ص37، 48.
- جزيرة القصدير – ص28.
- جزيرة سردينيا – ص40، 41، 45، 47، 51، 55.
- جزيرة صقلية -ص14، 40، 41، 46، 47، 48.

- س -

- الساحل الفينيقي – ص4، 7، 10.
- الساحل القرطاجي – ص16، 17، 19، 28، 31، 33.
- سردينيا – ص14، 40، 41، 46، 47، 48.

- ش-

- شبه الجزيرة العربية – ص6،4.
- شبه جزيرة ايبيريا - ص7، 9، 45، 60.
- شرق المتوسط – ص13، 14، 15، 33.

- ص-

- صقلية –ص14، 33، 47، 49، 58.
- صور ص17، 19، 29، 33.

- ق-

- قرطاجة –ص 13، 16، 17، 19، 21، 28، 31، 33، 34، 36، 47، 52، 56، 57، 59، 60.

-ي-

- اليونان – ص35.

2- فهرس الأماكن

-أ-

- أحيرم – ص10.
- استوابون –ص4، 28.
- اشرباص- ص17.
- إليسا – ص11، 16، 17.
- أوغستينوس – ص04.

-ب-

- بليني – ص04.
- بيجماليون – ص17.

-ج-

- حنبعل ص34.
- حنون – ص30.

- د-

- داود – ص06.
- ديودورس – ص4، 43.

- س-

- سليمان – ص06.

-هـ-

- هملكار – ص59.
- هيرودوت – ص04، 30.

بيبليوغرافيا المذكرة

قائمة المصادر
و المراجع

قائمة المصادر باللغة العربية :

1- أرسطو، كتاب السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد، الطبعة الثانية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1970.

2- هيرودوت، تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله الملاح، مراجعة أحمد السقاف، منشورات المجتمع الثقافي، أبو ظبي، 2011.

قائمة المصادر باللغة الفرنسية:

1- Diudours of sicily, XIV.

2- Plin XIX

3- Strabon XVII

4- Thucydide VI

قائمة المراجع باللغة العربية :

1- البشي إبراهيم السعيد، تاريخ مختصر لأهم حضارات الشرق القديمة، دار هومة، الجزائر، دزن سنة النشر.

2- البركي مفتاح محمد سعد، الصراع القرطاجي الإغريقي، مجلس الثقافة العام، سرت ليبيا، 2008.

3- أبو سعد خيري قصة الحضارة الإغريقية و الرومانية، دار الكتاب، دون بلد النشر، دون سنة النشر.

4- أبو رونية الشاذلي محمد الطاهر، قرطاج البونية – تاريخ و حضارة – مركز النشر الجامعي، تونس، 1999.

5- الجوهري يسري، جغرافية البحر المتوسط، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1984.

6- الخطيب محمد، الحضارة الفينيقية، دار العلاء، دمشق سوريا، دون سنة للنشر.

7- السيد محمود، التاريخ اليوناني و الروماني، مؤسسة شباب الجامعة، 2007.

8- الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس، ترجمة محمد الشاوش و محمد عجينة، سراس للنشر، دون سنة للنشر.

9- الشيخ حسين، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الثاني: الرومان، دار المعرفة الجامعية، دون مكان للنشر، 2004.

10- الشيخ نسيب، الحازن هيبة، من الساميون إلى العرب، منشورات الحياة، بيروت، دون سنة للنشر.

11- العسيلي بسام، هانيبال القرطاجي (242 -183 ق.م)، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1980.

12- الفرحاوي أحمد، بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي و قرطاجة، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1993.

13- إكصيل إصطيفان، تاريخ شمال إفريقيا القديم، الجزء الرابع،، ترجمة محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة تاريخ المغرب.

14- الناصري سيد احمد علي، تاريخ الرومان من القرية إلى الإمبراطورية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976.
15- الناضوري رشيد، تاريخ المغرب الكبير (العصور القديمة)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
16- المبار عبد الحفيظ فضيل، الحضارة الفينيقية بليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001.
17- أيمار أندريه، تاريخ الحضارة العام، ترجمة يوسف أسعد داغر، منشورات عويدات، بيروت، 1964.
18- بركي حسين صبحي، الإغريق و الرومان و الشرق الإغريقي، عالم الكتب الرياضي، 1984.
19- تسركين يوري بركوفيتش، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ترجمة يوسف ألي فاضل، الطبعة الأولى، جروس برس، بيروت، 1988.
20- توينبي أرنولد، تاريخ الحضارة الهيلينية، ترجمة رمزي جرجس، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2003.
21- جندي إبراهيم عبد العزيز، معالم التاريخ اليوناني القديم، الجزء الأول، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 1999.
22- جوليان شارل اندريه، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة طلعت أباضة و عبد المنعم ماجد، دار النهضة، مصر، دون سنة للنشر.
23- حتي فليب، تاريخ سوريا و لبنان و فلسطين، ترجمة جورج حداد و عبد الكريم رافض، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت لبنان، دون سنة للنشر.
24- دبوز محمد علي، تاريخ المغرب القديم، الجزء الأول، الطبعة الأولى، دون مكان النشر، دون سنة للنشر.
25- دحمان سعيد، من هيبون بونة إلى غاية تأسيس قطب حضري، الطبعة الأولى، مؤسسة بونة للبحوث و الدراسات، الجزائر، 2007.
26- ديكريه فرانسوا، قرطاجة الحضارة و التاريخ، ترجمة يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق، 1994.

27- رايت جون، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ترجمة المبار عبد الحفيظ و أحمد البازوري، دار الفرجاوي للنشر، 1972.
28- رزق الله إبراهيم ايوب، التاريخ الروماني، منشورات جامعة سبها، الإدارة العامة للمكتبات والنشر، دون مكان النشر، 1996.
29- زايد عبد الحميد، الشرق الخالد، دون ذكر دار النشر، القاهرة، 1996.
30- سالوست، حرب يوغرطة – صفحات من تاريخ شمال غفريقيا القديم، ترجمة محمد النازعي سعود، مطبعة محمد الخامس الجامعية و الثقافية، فاس، 1979.
31- بسبتنو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة وزاد سلية والسيد يعقوب بكر، بيروت، 1986.
32- تستيفتسن هاري، تجارة العالم القديم، تاريخ العلم، المجموعة الثانية ، ترجمة إدارة المعارف العمومية، مكتبة النهضة المصرية، مصر، دون سنة النشر
33- شاموا فرانسوا، الإغريق في برقة الأسطورة التاريخ ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، منشورات قاريونس، ليبيا، 1990
34- شنيتي محمد البشر، الإحتلال الروماني لبلاد المغرب سياسة الرومنة 146 ق،م الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1985
35- عارف عائدة سليمان، مدارس الفن القديم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1981
36- عقون العربي حرب يوغرطة، دار الهدى، ميلة ،الجزائر، دون سنة للنشر
37- غانم محمد الصغير، معلم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2003
38- غانم محمد الصغير، التوسع الفنيقي في غرب المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986
39- فنطر محمد حسين، الحرف والصورة في عالم قرطاج ، منشورات البحر الأبيض المتوسط، مركز النشر الجامعي، تونس، 1996.

40- فنظر محمد حسين، الفينيقيون بناة البحر المتوسط، منشورات البحر الأبيض المتوسط، تونس ، 1988.
41- كونتوا جورج ، الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد الهادي شعيرة، شركة كتب الشرق الأوسط ،مصر 1948.
42- مازيل جان، الأتروريون والقرطاجيون أصلهم وتكارتهم، كتاب تاريخ العالم، المجموعة الثانية ، إدارة الترجمع والمعارف العمومية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، دون سنة للنشر
43- مازيل جان، تاريخ الحضارة الفينيقية الكنعانية، ترجمة ثريا الحسن، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، 1998.
44- مهرا ن محمد بيومي، مصر الشرق الأدنى والمغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.
45- مهران محمد بيومي، المدن الفينيقية، تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية ، لبنان، 1994.
46- ميدان مادلين هورس، تاريخ قرطاجة ، ترجمة إبراهيم بالش، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت، 1991.
47- نجيب مخانيل إبراهيم ، مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، دار المعارف القاهرة، 1966
48- نصحي إبراهيم، تاريخ الرومان منذ أقدم العصور حتى 133 ق.م ، الجزء الأول، دار النجاح، بيروت، 1971
49- هامرتن جون تاريخ العالم، الجزء الثالث، ترجمة وزارة المعارف، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1951.
50- وار منجتون. ب ه ، العصر القرطاجي تاريخ إفريقيا العام، ترجمة عبد الرحيم مصطفى وآخرون، مركز حضارات إفريقيا القديمة للنشر، دون مكان للنشر، 1985.
51- يحي لطفي عبد الوهاب مقدمة في التاريخ الحضاري دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية :

1- Alfred. J, church. MA, Carthage on the empire of Africa, T. Fisher unwin, New York 1886.

2- Aquaro Enrico, Phoenicians and Etruons, Tauris publisher, London 2001

3- Barkaoui Abdelhamid, la marine carthaginaise, l'ore du temps, Tunisie 2003.

4- Blaz quez, J.M, Algunas relacians de la peninsula con el Medtirano el final de la edad de Brance prague 1970.

5- Banser. G, les colonies agricoles pré romaines de la vallée de Betis, 1899.

6- Brun Andrau, Persia and the Greek – the defense of the West (546-478 B.C) Edward Arnold publisher,London 1940.

7- Canleau.G, la civilisation phénicienne, Paris, 1970.

8- Casson. L, Ships and seamanshis in the ancient world, Princtan. London.

9- Contenou. G, La civilisation phénicienne, Paris, 1970.

10- Grant Michel, The Therucons, by Michel Grant publication litd, Printed in Great Britain by Feken press limited, London. 1980.

11- Fanter. Mohamed Hocine, Carthage. Le cit punique, Atif, as éditions de la méditerranée, Tunisie, 1998.

12- Fimly, Mithe Greek Historians, chatto and Windus, London, 1939.

13- Gustave fougeres, peuples et civilisation histoire générale, Felex Alcan, Paris ; 1926.

14- Gsell. Steven, histoire de l'Afrique de nord, Tom I. Paris.

15- Gras. M, Roullard, L'univers Phénicien ; Arthud, Paris ; 1989.

16- Lioyd walkiss, History of sicily to the Athnion war. Albermarle. London, 1872.

17- Moscatis, The worlds of phoenicians, Ip, Tauris publisher, London, 2001.

18- Movel. J.P, in actes de IIIème congrès des études phéniciennes punique. Tunis.

19- Mredde. Mare mostura, Les infrastructure le dispositif de l'histoire de la marine militaire sous l'empire romaine, ecole française de rome, Paris. 1986.

20- Picard Jhan, le monde de Carthage, édition Carreo pouchet chastrel, Paris, 1956.

21- Picard Jhan, vie et mort de Carthage, Hachette Français, Paris. 1970.

22- Rawlinson. M.A George, Phocnicia. T.Fisher Imminpoter, moster square, New york, 1853.

23- Warminfgton. B. II, Carthagn Pelican books, London, 1964.

24- Weill Raymond, Phoenicia and western in Asia, to Macedonion canquest tranzted frnest. F. Raw, Arr press, New York times company, New York. 1978.

الموسوعات باللغة العربية :

1- بورتر هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.

2- تراد كسيم، كتاب المعرفة مدن و مدينات (تاريخ الحضارة)، الجزء الثالث، مطبعة داغر، لبنان، دون سنة للنشر.

3- رجب محمد عبد الحليم، الموسوعة الإفريقية، لمحات من تاريخ القارة الإفريقية، الجزء الثاني، جامعة القاهرة، 1997.

4- سعد عبد المنعم بركة، موسوعة الثقافة التاريخية و الأثرية و الحضارية (حضارات قديمة متنوعة)، الجزء الخامس، دار الفكر العربي، مصر، 2008.

5- محمد فؤاد و آخرون، موسوعة المعرفة، المجموعة 6، الشركة الشرقية، دون بلد النشر، دون سنة للنشر.

الأطروحات:

- سلاطنية عبد المالك، المستوطنات الفينيقية البونية في الحوض الغربي للبحر الأبيض للمتوسط، بحث مقدمة لنيل الدكتوراة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، جامعة قسنطينة، 2008-2009.

المجـــلات :

أ) منصوري خديجة، الرحلات عبر البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة، مجلة دراسات إنسانية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر ، السنة الثانية، العدد الثاني، 2002.

ب) باللغة الأجنبية:

1- Astruc.M. échange entre Carthage et l'Espagne. Revue des études anciennes, TLXIV, Paris, 1962.

2- Foucher. L. les représentations de Baal Hamon, archéologie vivante, N°02, 1968.

3- Forst. H, une épave punique au large de la Sicile, archeologia, N°48, 1972.

Site Web :

- http://en.wikipedia.org/wiki/Phoenicia
- http://ships-history.blogspot.com
- http://ships-history.blogspot.com
- http://www.emmanuelle-etienne.com
- http://younis71.maktoobblog.com
- http://ar.wikipedia.org
- http://www.nbbmuseum.be
- http://canadacheeseman.wordpress.com

- http://www.luventicus.org

- http://www.tunisientunisie.com/histoirela-premiere-guerre-punique-264-241-av-j-c

- http://fr.wikipedia.org
- http://fr.wikipedia.org
- http://voyagesenduo.com

الفهرس العام

الفهـرس العـام

مقـــدمـة	أ
الفصل التمهيدي: الحضور الفينيقي في غرب المتوسط	02
المبحث الأول: البحر المتوسط كمسرح للنشاط التجاري	02
المبحث الثاني: التوسع الفينيقي في حوض المتوسط	03
أولا: دوافع التوسيع الفينيقي	03
أ/ الدوافع السياسية	05
ب/ الدوافع الاقتصادية	06
ج/ الدوافع الاجتماعية	07
ثانيا: مراحل التوسع الفينيقي	08
أ/ مرحلة الارتياد و الكشف و تأسيس المراكز	08
ب/ مرحلة الهجرة و الاستيطان	09
الفصل الأول: قرطاجة زعيمة المدن الفينيقية	13
المبحث الأول: تأسيس قرطاجة	13
أولا: التسمية	13
ثانيا: الموقع	13
ثالثا: تاريخ التأسيس	15
أ/ القسم الأول	15
ب/ القسم الثاني	16
المبحث الثاني: زعامة قرطاجة للمستعمرات الفينيقية	17
أولا: ضعف المدن الفينيقية في الشرق	17
ثانيا: ظهور بعض القوى المنافسة في غرب البحر المتوسط	18
ثالثا: طبيعة قرطاجة	19
الفصل الثاني: البنية التحتية للتجارة القرطاجية و تنظيمها	21
المبحث الأول: مقومات التجارة القرطاجية	21
أولا: الموانئ	21
ثانيا: السفن التجارية	24
أ/ السفن الكبيرة	24
ب/ السفن الصغيرة (الأحصنة)	27
ثالثا: الاحتكار	27
رابعا: العملة	29
المبحث الثاني: أهم العلاقات التجارية و المواد المتبادلة	33
أولا: مع شرق المتوسط	33
أ/ مع الوطن الأم (صور)	33
ب/ مع مصر	34
ج/ مع بلاد الإغريق	35

ثانيا: مع غرب المتوسط	36
أ/ إسبانيا	36
ب/ جزر القصدير	37
ج/ مع الأتروسكيين	38
ثالثا: مع الشمال الشرقي للمتوسط	40
أ/ مع سردينيا	40
ب/ مع صقلية	41
الفصل الثالث: دور التجارة القرطاجية في صراعاتها الخارجية	45
المبحث الأول: الصراع القرطاجية الإغريقي	45
أ/ أسباب الصراع	45
ب/ دور الأتروسك في الصراع القرطاجي الإغريقي	48
ج/ مراحل الصراع المباشر الإغريقي القرطاجي	51
د/نتائج الصراع الإغريقي القرطاجي	53
المبحث الثاني: الصراع الروماني القرطاجية	54
أ) العلاقات القرطاجية الرومانية قبل الصراع	54
1/ المعاهدة الأولى	54
2/ المعاهدة الثانية	55
ب) أسباب الصراع	55
ج) مراحل الصراع الروماني القرطاجي	56
د) نتائج الحروب البونية	59
الخـــاتمة	61
المـــلاحق	64
الفهـــارس	69
بيبليوغرافيـا المذكرة	74
المصـــادر و المـــراجع	76
الفهرس العـــام	86